الأوصاف القرآنية المشتركة بين الأنبياء
وبين أمة محمد ﷺ مِن خلال القرآن الكريم

دراسة موضوعية

Qur’anic descriptions shared by the prophets And among the nation of Muhammad, peace be upon him, through the Holy Qur’an Objective study

إعداد

د/ سلطان بن فهد بن علي الصطامي

الأستاذ المشارك في قسم القران وعلومه في كلية الشريعة

والدراسات الإسلامية جامعة القصيم،

المملكة العربية السعودية

الأوصاف القرآنية المشتركة بين الأنبياء وبين أمة محمد ﷺ مِن خلال القرآن الكريم دراسة موضوعية

سلطان بن فهد بن علي الصطامي
قسم القران وعلومه في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة القصيم، القصيم، المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني: abo.fs10@gmail.com

الملخص:
هذه الدراسة شرحٌ لمبحث مِن مباحث كتاب "فنون الأفنان" لابن الجوزي، والتي يظهر فيها حسن التأليف والنظر في الصفات العشر المشتركة بين الأنبياء: إبراهيم وموسى ونبينا محمد – عليهم السلام – وبين أمة محمد، وكان محورُ الاشتراك هي اللفظة القرآنية، والتي حاول الباحث إبراز تلك المشتركات بشيء مِنَ التوضيح والشرح، والوصول إلى نتائجَ مرضيةٍ تعكس جودة هذه الدراسة، والتي وُسِمت بـ: "الأوصاف القرآنية المشتركة بين الأنبياء وبين أمة محمد من خلال القرآن الكريم– دراسة موضوعية–". وكان المنهج الوصفي والتحليلي هي صبغة الدراسة؛ فاتضح أن ابن الجوزي دقيقُ النظر في هذا الاختيار، مع وجود تَكرار في الصفات بين الأنبياء، وظهور كمال هذه الأمة المحمدية في صفاتها المشتركة. وكان من أهم النتائج التي توصل إليها البحث : ۞ امتياز أمة محمد عليه السلام بهذه الصفات والخصائص التي شاركت فيها بعض أولى العزم من الرسل: إبراهيم، موسى عليهما السلام. ۞ أن الآياتِ المشتركةَ بين النبي وأمة محمد لا تتقيد بمنهج معين من جهة النزول، فقد تكون الآيتان مكيتين، أو إحداهما مكية والأخرى مدنية. ۞ أن ابن الجوزي يعتمد في مورد الاشتراك على اللفظة القرآنية التي تجمع بين صفة الأنبياء وصفة أمة محمد.
وأوصيت بـ : ۞ التوسع في دراسة هذه الورقة العلمية بشكل أوسع. ۞ دراسة صفات الأنبياء، وبيان أثرها في الدعوة. ۞ كتابة قاموس ودليل لصفات الأنبياء في القرآن. ۞ صفات الأنبياء في القرآن والسنة المطهرة جمعا ودراسة.

الكلمات المفتاحية : محمد، موسى، إبراهيم ، الأوصاف القرآنية المشتركة.

Qur'anic descriptions shared by the prophets And among the nation of Muhammad, peace be upon him, through the Holy Qur'an Objective study

Sultan bin Fahd bin Ali Al-Sattami
Department of the Quran and its Sciences, College of Sharia and Islamic Studies, Qassim University, Qassim, Kingdom of Saudi Arabia
Email: abo.fs10@gmail.com

Abstract :
This study is an explanation of one of the chapters in the book "Funun al-Afnan" by Ibn al-Jawzi, in which good composition and consideration of the ten common characteristics between the prophets: Abraham, Moses, and our Prophet Muhammad - peace be upon them - and the nation of Muhammad is evident, and the focus of commonality was the Qur'anic word, and the researcher tried to highlight those commonalities with some clarification and explanation. The common Qur'anic relationship between the prophets and the nation of Muhammad through the Holy Qur'an - an objective study -". The descriptive and analytical approach was the nature of the study. It became clear that Ibn al-Jawzi was careful in considering this choice, with the presence of repetition in the characteristics among the prophets, and the emergence of the perfection of this nation of Muhammad in its common characteristics. One of the most important results that the research reached was: ⊥ The excellence of the nation of Muhammad, peace be upon him, with these qualities and characteristics in which it participated I recommended: ⊥ Expanding the study of this scientific paper more widely. ⊥ Studying the characteristics of the prophets, and explaining their impact on preaching. ⊥ Writing a dictionary and guide to the attributes of the prophets in the Qur'an. ⊥ The attributes of the prophets in the Qur'an and the pure Sunnah, collected and studied.

Keywords: Muhammad, Moses, Abraham, Common Quranic Descriptions.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، علَّم آدمَ الأسماء كلَّها، ورفع مقامه فوق الملائكة الكرام الكَتَبة، وعلَّم إبراهيم عليه السلام الحُجَّة وإقامةَ الدليل، والنظر في البراهين العقلية والحسية على بطلان خرافات المبطلين مِن أصحاب العقائد الفاسدة، وعلَّم كَلِيمه موسى عليه السلام أدواتَ النظر والمناظرة والحجج الباهرة في كشف زيع أهل الطغيان مِنَ الفراعنة والجبابرة.

والصلاة والسلام على المبعوث نورًا ورحمةً وهدايةً للعالمين؛ نبيِّنا محمدٍ الأمين الذي جمع محاسنَ الخَلق والخُلق، وشمائل الصفات والأوصاف الحميدة، **وبعد:**

الأنبياء عليهم السلام معالمُ نور وهدى للبشرية أجمع، جمعوا بين العلم والعمل وبين الرسالة والحكمة، تنوعت مشاربهم في تناول الحياة، وتشَكَّلَت أعمالهم ودعوتهم حسب الظروف والأمكنة والأزمنة التي عاشوا فيها، فتوَلَّد مِن ذلك معادنُ الفقه والاجتهاد والحكمة والنظر في عواقب ومآلات الأمور، وامتزجت أرواحهم وعقولهم بطبيعة روح الشريعة التي قامت على أيديهم، وجاهدوا بالحق والحقيقة، فأفلست قلوب الغافلين عن ذكرهم، وتَعَجَّب المعرضون مِنْ ثباتهم وصدقهم في المقال والحال، فثارت الأقلام والألواح بكتابة سيرتهم العطرة، وهَيَّجَت النفوس للتفكر في مآثرهم وعِبَرهم التي قامت على شتى المستويات الفردية والجماعية.

القرآنُ في مَكّيّه ومدنيّه يجول بنا في فصول وحقول تلك القصص التي خاض فيها الأنبياء معاني الصدق والثبات والأمانة، فأصبحت تلك الدروس فصولًا ومدارسَ ومنهاجًا لأمة محمد ﷺ، تتغذَّى مِن رحيقها، وتأنس بمواقفها التي تصدت لهجمات الأنفس الشريرة؛ ممن كانت دافعها القوة الغاشمة، أو النعرة الجاهلية، أو الشهوة المذمومة، أو الزعامة المكذوبة، أو المعجزات الواهية على عروشها.

وقد وقفت عيني أثناء قراءتي لكتاب متين لابن الجوزي وهو: «فنون الأفنان في عيون علوم القرآن»، تحت مبحث نفيسٍ وهو: "ذكر الأوصاف التي شاركت أمتنا فيها الأنبياء عليهم السلام"، فجعلتُه بوابة للدراسة والتحقيق، فجاءت هذه الدراسة بعنوان: "**الأوصاف القرآنية المشتركة بين الأنبياء عليهم السلام وبين أمة محمد ﷺ دراسة موضوعية**"، فنسأل الله السدادَ والتوفيق.

- **أهمية الدراسة:**

١- أن هذه الدراسة تُعنَى بالحديث عن أوصاف بعض الأنبياء من خلال القرآن الكريم.

٢- المساهمة في إبراز جوانب القوة والضعف عند أمة الإسلام، من خلال هذه الصفات المشتركة عند الأنبياء.

٣- فتح المجال لقراءة صفات الأنبياء – عليهم السلام – مِن خلال عدة مجالات أخلاقية ودعوية واجتماعية.

٤- العناية بإبراز المباحث القرآنية مِن خلال كتب علوم القرآن، فكتاب: «فنون الأفنان في عيون علوم القرآن» أنموذجًا لتلك الكتب التي تحتاج إلى مُدَارسة وتنقيب.

- **أهداف الدراسة:**

١- التعرّف على طريقة القرآن في تناول الأوصاف المشتركة بين إبراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام وبين أمة محمد ﷺ.

٢- بيان أوجه التقارب في الأوصاف المشتركة بين إبراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام، وبين أمة محمد ﷺ.

٣- بيان خصائص أمة محمد ﷺ والشمولية فيها.

٤- السعي للوصول إلى أوجه الارتباط بين هذه الأوصاف المشتركة بين الأنبياء عليهم السلام وبين أمة محمد ﷺ.

- **الدراسات السابقة**[1]:

الدراسات حول الأنبياء عليهم السلام كثيرةٌ ومتعددة المسارات، سواءٌ كانت متعلقةً بالقصص أو بالأحكام أو بالعبر والدروس في قصصهم، أو حول بعض الدراسات الدعوية في مناهجهم وإثبات العقائد الصحيحة، ومن تلك الدراسات:

١- الأصول المتفقة والصفات المشتركة بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في القرآن الكريم وأثرهما على الفرد والمجتمع" للدكتور/ عبد الرحمن بن يتيم الفضلي، رسالة دكتوراه، جامعة الأمام محمد بن سعود،٢٠١٤م.وقد تعرض لمجموعة من القضايا والأصول المتفقة بين الأنبياء. ودراستي تعنى بالصفات المشتركة بين بعض الأنبياء وبين أمة محمد عليه السلام.

٢- آل الأنبياء في القرآن دراسة موضوعية، إيمان بن عوضة الغامدي، ماجستير في كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٢٣هـ.

٣- أنبياء الله، تأليف: أحمد بهجت، دار الشروق ط ١٢، ١٤٠٤هـ.

٤- شكر الله عند الأنبياء والرسل -عليهم السلام- في ضوء القرآن الكريم. تأليف: مزة شواهنة، إصدارات مركز تفسير للدراسات القرآنية

وبعد التتبع والنظر لم أقف على دراسة مقاربة لهذه الدراسة التي بين أيدينا - حسب علمي -، فتُعتبر هذه الدراسة مِن أوائل الدراسات القرآنية التي تُعنى بهذا الجانب.

- **إجراءات البحث، ومنهجه، وحدوده:**

تقوم الدراسة على المنهج الوصفي والتحليلي لدراسة الآيات التي جمعها ابن الجوزي في كتابه: فنون الأفنان في باب "**ذكر الأوصاف التي شاركت أمتنا فيها الأنبياء عليهم السلام**"، والاقتصار عليها، **وسوف يسلك الباحث**

(١) هناك دراسات مقاربة لهذه الدراسة في بعض الجزئيات: منها، خصائص الأمة المحمدية تأليف: السيد محمد بن علوي الحسيني.

الطريقة التالية:

١- تصنيف الآيات القرآنية حسب ما هو ظاهر في مخطط البحث، وذلك بجمع النظير إلى نظيره.

٢- تصدير كل مطلب بكلام ابن الجوزي من خلال كتابه " فنون الأفنان"، بيان المعنى الإجمالي، وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير.

٣- بيان أوجه الارتباط بين الآيات القرآنية داخل كل مبحث أو مطلب.

٤- محاولة الوصول إلى نتائجَ تُجسّد معالم الموضوع تحت كل مبحث بقدر الجهد.

٥- تخريج الأحاديث مِن مصادرها الأصلية والحكم عليها، مع الحرص على أن تكون مِنَ «الصحيحين»، أو أحدهما.

- **خطة البحث:**

وتشتمل على: التمهيد – أهمية الدراسة – أهداف الدراسة – الدراسات السابقة – إجراءات البحث ومنهجه وحدوده – ثلاثة مباحث:

التمهيد، ويشمل أمرين:

أولًا: مكانة الأنبياء في شريعة الإسلام.

ثانيًا: مكانة أمة محمد ﷺ بين الأمم السابقة.

المبحث الأول: الأوصاف القرآنية المشتركة بين إبراهيم ﷺ وبين أمة محمد ﷺ، وتحته عشرة مطالب:

المطلب الأول: الآيات القرآنية المشتركة في وصف الاصطفاء.

المطلب الثاني: الآيات القرآنية في وصف الاجتباء.

المطلب الثالث: الآيات القرآنية في وصف الصلاح في الدين.

المطلب الرابع: الآيات القرآنية في وصف الاهتداء.

المطلب الخامس: الآيات القرآنية في وصف السلام.

المطلب السادس: الآيات القرآنية في وصف النجاة مِنَ النار.

المطلب السابع: الآيات القرآنية في وصف العبودية.

المطلب الثامن: الآيات القرآنية في وصف التوبة.

المطلب التاسع: الآيات القرآنية في وصف قَبول العمل الصالح.

المطلب العاشر: الآيات القرآنية في وصف البشارة بالخير.

المبحث الثاني: الأوصاف القرآنية المشتركة بين موسى عليه السلام وبين أمة محمد ﷺ، وتحته عشرة مطالب:

المطلب الأول: الآيات القرآنية في وصف انشراح الصدر.

المطلب الثاني: الآيات القرآنية في وصف تيسير الأمور.

المطلب الثالث: الآيات القرآنية في وصف الامتنان.

المطلب الرابع: الآيات القرآنية في وصف المعية الربانية.

المطلب الخامس: الآيات القرآنية في وصف الاستجابة الربانية.

المطلب السادس: الآيات القرآنية في وصف العلو البشري.

المطلب السابع: الآيات القرآنية في وصف المحبة الربانية.

المطلب الثامن: الآيات القرآنية في وصف الأمان الرباني.

المطلب التاسع: الآيات القرآنية في وصف إجابة الدعوة.

المطلب العاشر: الآيات القرآنية في وصف المغفرة.

المبحث الثالث: الأوصاف القرآنية المشتركة بين محمد عليه السلام وبين أمته، وتحته عشرة مطالب:

المطلب الأول: الآيات القرآنية في وصف نفي الحرج.

المطلب الثاني: الآيات القرآنية في وصف المغفرة.

المطلب الثالث: الآيات القرآنية في وصف إتمام النعمة.

المطلب الرابع: الآيات القرآنية في وصف الهداية للصراط المستقيم.

المطلب الخامس: الآيات القرآنية في وصف النصرة الربانية.

المطلب السادس: الآيات القرآنية في وصف التثبيت.

المطلب السابع: الآيات القرآنية في وصف الرضا الرباني.

المطلب الثامن: الآيات القرآنية في وصف انشراح الصدر.

المطلب التاسع: الآيات القرآنية في وصف الأجر غير الممنون.

المطلب العاشر: الآيات القرآنية في وصف الشهادة على الأمم.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

المراجع والمصادر.

****

التمهيد

لا بد مِنَ الإشارة إلى بعض المقدمات والتوطئة حول هذا الموضوع؛ طويل الذيول، ومتعدد الجهات والمنطلقات العلمية؛ لِنَقف مع بعض الموضوعات والقضايا المتعلقة بشكل مباشر حول محور هذه الدراسة الجزئية.

فالدراسة التي بين أيدينا قائمةٌ على استقراء شخصي لابن الجوزي؛ حول بيان أوجه الاشتراك بين ثلاثة مِنَ الأنبياء جميعهم مِن أولي العزم مِنَ الرسل(١): الخليل والكليم والخاتم عليهم السلام مع أمة محمد، يقول الدهلوي: "واختلفت مسالك الأنبياء في ذلك؛ فكان عمدة ما أنزل الله تعالى على إبراهيم عليه السلام التذكير بآيات الله الباهرة وصفاته العليا ونعمه الآفاقية والنفسانية، حتى يُصحح بما لا مزيد عليه أنه حقيق أن يبذلوا له الملاذ، وأن يُؤثروا ذكره على ما سواه، وأن يحبوه حبًّا شديدًا، ويعبدوه بأقصى مجهودهم، وضم الله معه لموسى عليه السلام التذكير بأيام الله، وهو بيان مجازاة الله تعالى للمطيعين والعصاة في الدنيا، وتقليبه النعم والنقم، حتى يتمثل في صدورهم الخوف مِنَ المعاصي، ورغبة قوية في الطاعات، وضم معهما لنبينا صلى الله عليه وسلم الإنذار والتبشير بحوادث القبر وما بعده، وبيان خواص البر والإثم، ولا يفيد أصل العلم بهذه الأمور، بل لا بد مِن تَكْرارها وتَرْدادها وملاحظتها كل حين، وجعلها بين عينيه حتى تمتلئ القوى العلمية بها، فتنقاد الجوارح لها، وهذه الثلاثة مع اثنين آخرين أحدهما بيان الأحكام مِنَ الواجب والحرام وغيرهما، وثانيهما مخاصمة الكفار – فنون خمسة؛ هي عمدة علوم القرآن العظيم"(٢).

ويبقى في عقل القارئ جملةٌ مِنَ التساؤلات التي نحاول أن نكشف عن بعضها مِن خلال هذه النافذة العلمية:

(١) عن عبد الله بن عباس قال: «{أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}: النبيّ ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى». انظر: موسوعة التفسير بالمأثور (٣٤٦/١٣).

(٢) حجة الله البالغة (١/ ١٠٩-١١٠).

١- هل هذه الأوصاف المشتركة محصورة في عشر صفات مع كل نبي، كما ذكر ابن الجوزي في كتابه أم أنها أكثر من ذلك ؟

٢- هل هذه الآيات القرآنية التي ذكرها ابن الجوزي خاصةٌ بأمة محمد، أم يشاركهم غيرهم فيها؟

٣- هل التَّعداد العشري في الصفات وقع اتفاقًا، أم محاولة مِن ابن الجوزي في التفنن في التأليف؟

هذه بعض التساؤلات التي نصحبها أثناء التعليق والتحرير على ما ذكره ابن الجوزي في كتابه: «فنون الأفنان».

وبعد هذه التوطِئة العامة؛ تَعَيَّن النظر في قضيتين هامتين هما:

أولًا: مكانة الأنبياء في شريعة الإسلام:

القرآن والسنة هما منهج المسلم في معرفة ميزان الأنبياء والمرسلين؛ مِنَ الإيمان بهم وبكتبهم وبما جاؤوا به مِنَ الدعوة الصحيحة، والشرائع الظاهرة التي ليس فيها دجلٌ أو كذب أو تلبيس على الناس، والإيمان بأنهم أكملُ البشرية أجمع على تفاضل فيما بينهم في المنزلة عند الله؛ {وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا} [سورة الإسراء: ٥٥]، ومعرفة حقوقهم في الشريعة مِنَ المحبة والترضي عنهم والصلاة والسلام عليهم، والدفاع عنهم وعن كل ما يمسهم من عيب أو نقص، وعدم الغلو في ذواتهم أو رفعهم فوق منزلتهم البشرية؛ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [سورة المائدة: ٧٢]، وأنهم نصحوا لأقوامهم، وكانوا خيرَ قدوة وأسوة لمن بعدهم؛ ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٧٩].

فالأنبياء هم الوسطاء بين الله وخلقه، وهم السفراءُ في البلاغ عن الله، والقرآن يقص علينا بعض قصصهم دون البعض الآخر؛ فمنهم مَن تكلّم الله

عنه بإسهاب طويل في آيات متعددة مِنَ القرآن، ومنهم مَن قصَّ علينا قصته باقتضاب شديد ومحدود.

والإيمان بالأنبياء هو أحد أركان الإيمان الستة؛ التي يجب الإيمان بها وبمقتضياتها مِنَ الإيمان المجمل والتفصيلي، وعدم النقل عنهم إلا مِن مصدر الوحي الشريف دون بقية الكتب المحرفة، أو القصص الإسرائيلية المكذوبة، أو الأحاديث المصطنعة، ولذا فالأنبياء معصومون من الكفر.

يقول شيخ الإسلام: " وكثير مِن أهل السنة يقولون: إن الأنبياء معصومون مِنَ الكفر قبل النبوة، كما قال ذلك: ابن الأنباري، والزّجّاج، وابن عطية، وابن الجوزي، و البغوي"(١).

قال البغوي: «وأهل الأصول على أن الأنبياء كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم، ولم تُبيّن له شرائعُ دينه»(٢).

يقول ابن القيم مبينًا حاجة العباد إلى الرسل وتعاليمهم: "ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر؛ فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلّا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلّا مِن جهتهم، ولا يُنال رضا الله ألبتة إلّا على أيديهم، فالطيب مِنَ الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلَّا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح، الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم تُوزن الأخلاق والأعمال"(٣).

---

(١) تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء، ط الرشد (١/ ١٨١).

(٢) معالم التنزيل (٧/ ٢٠١).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٤).

فائدة: يقول الدهلوي: "لكن الأنبياء – عليهم السلام – أُمروا بتعديل الارتفاقات (التدبيرات النافعة)، وألا يبلغ بها حال المتعمقين في الرفاهية كملوك العجم، ولا ينزل بها إلى حال سكان شواهق الجبال اللاحقين بالوحش". انظر: حجة الله البالغة (١/ ١٨٦).

والأنبياء عليهم السلام قد تفرَّدوا بخصائصَ لم تك لغيرهم مِنَ الخلائق، مِن ذلك: أنهم تفردوا بالوحي، وأنهم يخيرون عند الموت، وأن النبي يُدفن حيث يموت، وأنهم أحياء في قبورهم، وأنهم رَعُوا الغنم؛ كما دل على ذلك النصوصُ والآثار الصحيحة.

وقد جاءت الدلائلُ والبراهينُ والمعجزات من الأنبياء على أقوامهم؛ لتكون لهم حجة وبرهانًا مبينًا. ويترتب على ذلك أن الأنبياء- عليهم السلام- بُعثوا إلى مجتمعاتهم وحاربوا الشرك وأهله، وقاموا بإصلاح مجتمعاتهم مِنَ الرذائل والتجبر والطغيان.

ولتعلم أن حياة الأنبياء- عليهم السلام- هي منظومة متكاملة مِنَ العقيدة والسلوك والأخلاق والآداب الإسلامية السامية بكل صورها وألوانها؛ لِتُمثل الصورة المثالية في رقي الإنسان المسلم، فمَن ازداد بهم فقه ازادت بصيرته وحكمته، وأثمرت جهوده في العلم والدعوة.

وقد جعل الله سبحانه لأنبيائه سماتٍ خاصةً تُميزهم عن أهل الزعامة والدغل والسيادة.

وتتلخص هذه السمات بعدة أمور، مِن أجلها(١):

١- الحكمة والتيسير في دعوة الأنبياء وفي التشريع.

٢- إخلاص الدين لله، وإفراده العبادة لرب العالمين.

٣- عقيدة البعث والنشور والاهتمام بها.

٤- التشديد على الإيمان بالغيب.

٥- البعد عن التكلّف والتصنّع، والاعتماد على الفطرة السليمة.

---

(١) قصص الرحمن في ظلال القرآن (١/٢٣٥).

ثانيًا: مكانة أمة محمد ﷺ بين الأمم السابقة[١]:

يقول الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة: ٢١٣]، ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ يعني: أمّة محمد ﷺ"[٢].

لا تعجب عندما يكون الكلام عن أمة محمد، والتي خصَّها الله بخصائصَ ومميزاتٍ ومناقبَ لم تكن لأمة مِنَ الأمم السابقة، ويكفيها فخرًا وعزًّا أن نبيها هو أفضل الخلق أجمعين، والأمم السابقة وإن جُمع لها شيءٌ مِنَ القوة والسيادة والكثرة في العَدَد أو طول الأعمار، إلا أن هذا ليس امتيازًا حقيقيًّا يجعلها تفوق أمة الوسطية، والتفضل لأمة في خصيصة لا يجعلها هي الأكملَ على بقية الأمم، فبنو إسرائيل كانوا أفضلَ عالمي زمنهم في وقتهم، أما بعد ظهور هذه الأمة المحمدية فقد أفل نجمُها، ومَن قارن بين أمتنا وبقية الأمم السابقة؛ وجد البون الشاسع بينهما؛ لِتَعْلم أن أمة محمد لها البقاء الدائم إلى قيام الساعة بلا منازع، وهذا دليل على حفظها مِنَ الهلاك والاستئصال، ونزول عيسى آخر الزمان ما هو إلا مُؤشر على ديمومة هذه الأمة واتباعه لمنهجها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**والذي نفسي بيده، ليُوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم حكمًا مُقسِطًا، فيكسر الصليب، ويقتل**

(١) الحديث عن هذه النافذة يطول وهو ذو ذيول، وهناك كتابات قديمة وحديثة حول هذا الموضوع، مثل: كتاب المواهب اللدنية على المنح المحمدية، لأحمد القسطلاني، وكتاب: نضرة النعيم، د. صالح بن حميد ومجموعة من الباحثين، وقد أفرد مبحثًا خاصًّا بخصائص النبي وخصائص أمته (١/٤٤٧).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١١٨).

الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[1].

والعلماء قديمًا وحديثًا جمعوا خصائص وسمات خاصة بهذه الأمة المحمدية تُميزها عن غيرها، مِن ذلك ما قاله شيخ الإسلام: "١- جعل أمته خير أمة أُخرجت للناس. ٢- أكمل لهم دينهم وأتمَّ عليهم نعمه، ورضي لهم الإسلام دينًا. ٣- وأظهره على الدين كله إظهارًا بالنُّصرة والتمكين، وإظهارًا بالحجة والتمكين. ٤- وجعل فيهم علماءهم ورثة الأنبياء، يقومون مقامهم في تبليغ ما أنزل مِنَ الكتاب. ٥- وجعل فيهم طائفة منصورة لا يزالون ظاهرين على الحق لا يضرهم مَن خالفهم ولا مَنْ خذلهم. ٦- وحفظ لهم الذّكر الذي أنزله مِنَ الكتاب المكنون. ٧- وخصّهم بالرواية والإسناد، الذي يُميزُ به بين الصدق والكذب الجهابذةُ النقّاد"[2].

ويقول ابن القيم: "فإن هذه الأمة أكمل الأمم وخير أمة أُخرجت للناس، ونبيُّها خاتم النبيين لا نبي بعده، فجعل الله العلماء فيها كلما هلك عالم خلفه عالم؛ لئلا تطمس معالم الدين وتخفى أعلامه، وكان بنو إسرائيل كلما هلك نبي خلفه نبي، فكانت تسوسهم الأنبياء، والعلماء لهذه الأمة كالأنبياء في بني إسرائيل. وأيضًا ففي الحديث الآخر: "**يحمل هذا العلم مِن كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين** [3]"[4]".

ويقول أيضًا: "محمد بن عبد الله رسول الله ونبيُّه، أرسله إلى أكمل الأمم عقولًا ومعارفَ، وأصحُّها أذهانًا، وأغزرها علومًا، وبعثه بأكمل شريعة ظهرت في الأرض منذ قامت الدنيا إلى حين مبعثه، فأغنى الله الأمة بكمال رسولها

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٨٢)، باب قتل الخنزير (٢٢٢٢)، ومسلم (١/ ١٣٥)، باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١٥٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١/ ٢).

(٣) أخرجه ابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٣٨/٧) واللفظ له، وأخرجه العقيلي في (الضعفاء الكبير) (٢٥٦/٤)، هذا الحديث جاء من عدة طرق جميعها لا يخلو من مقال.

(٤) مِفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٤٣).

وكمال شريعته وكمال عقولها وصحة أذهانها عن رسول يأتي بعده، أقام له مِن أمته ورثة يحفظون شريعته، ووكلهم بها حتى يؤدوها إلى نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم، فلم يحتاجوا معه إلى رسول آخرَ ولا نبي ولا مُحدث؛ ولهذا قال: "**إنه قد كان قبلكم في الأمم مُحَدّثون، فإن يكن في أمتي أحدٌ فعمر**"(١)، فجزم بوجود المحدثين في الأمم"(٢).

ويقول كذلك: "ولهذا أتباعه أعقل الخلق على الإطلاق، وهذه مؤلفاتهم وكتبهم في جميع الفنون، إذا وازنت بينها وبين مؤلفات مخالفيه؛ ظهر لك التفاوت بينها. ويكفي في عقولهم أنهم عَمَّرُوا الدنيا بالعلم والعدل، والقلوب بالإيمان والتقوى. فكيف يكون متبوعهم مجنونًا وهذا حال كتابه، وهديه، وسيرته، وحال أتباعه؟!"(٣).

فالله سبحانه جمع لهذه الأمة خيري الدنيا والآخرة؛ أحل لهم الغنائم، ووضع عنهم بعض الأغلال والآصار التي كانت شريعةً لمن كان قبلهم، وجعل لهم الأرض مسجدًا وطهورًا، وبارك لهم في أعمالهم؛ بأن شرَّع لهم بعض العبادات التي تُضاعَف فيها الأجور كليلة القَدْر، ومضاعفة الصدقات وبقاء الأعمال الصالحة بعد وفاتهم؛ كالعلم النافع والولد الصالح وغيرها، وكذلك مَن سَنَّ سنة حسنة كان له أجرُها وأجر مَن عمل بها ليوم الدين، وكذلك خصَّهم بأفضل الأيام وهو يوم الجمعة، وخير الشهور وهو شهر رمضان، وكل هذا مما صحت به الأخبار والآثار عن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٤) (٣/ ٨٢)، باب حديث الغار (٣٤٦٩)، ومسلم (٤/ ١٨٦٤)، باب فضائل عمر (٢٣٩٨).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٥٥).

(٣) التبيان في أيمان القرآن، ط عالم الفوائد (١/ ٣١٣).

المبحث الأول

الأوصاف القرآنية المشتركة بين إبراهيم عليه السلام وبين أمة محمد ﷺ(١)

الحديث عن إبراهيم الخليل عليه السلام جاء في القرآن مِن خلال مواقفَ عديدةٍ تنوعتْ موضوعاتها بحسب المناسبة التي جاء السياق حولها(٢)، فالقرآن يُفصح لنا عن تلك الدعوة التي قام بها خليل الرحمن، مِن خلال دعوة أبيه وقومه ووقوفه أمام تلك الحوارات العقدية في إثبات حقيقة الخالق، وكسر الأصنام المعنوية والحسية، وكان مِن أَجَلّ مَهمّاته بناء الكعبة المشرفة، وخصال الفطرة مِن سلوكياته الحميدة التي بقيت في الأمم والمجتمعات بعده، **وتحته عشرة مطالب:**

---

(١) هناك دراساتٌ حول الموازنة بين الأنبياء عليهم السلام في فضائلهم مع نبينا محمد عليه السلام، فمِن ذلك: الإمام الصالحي: الباب السابع: في موازنة النبي صلى الله عليه وسلم مع ما أوتيه إبراهيم الخليل، فمثلًا: أُوتي النجاة مِنَ النار، وقد خمدت نار فارس لنبينا، وقِسْ على ذلك. انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١٠/٩١١).

(٢) يقول ابن كثير: "فكل كتاب أُنزل مِنَ السماء على نبي من الأنبياء بعد إبراهيم الخليل فمن ذريته وشيعته". انظر: البداية والنهاية (١/ ٣٨٥).

ويقول ابن العربي: "إبراهيم، وهو الشجرة المباركة، يعني: حنيفة لا شرقية ولا غربية، لا يهودية ولا نصرانية". انظر: أحكام القرآن لابن العربي، ط العلمية (٣/ ٤٠٥)، وهذا فيه تكلف ظاهر.

والقرآن يعالج بعض القضايا التي عاشها نبي الرحمة بإرجاع الأمور إلى أصلها العقدي، فمِنْ ذلك: أن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه لَمَّا أفشى سر النبي الكريم، جاء القرآن لبيان أصل الخطأ في موالاة الكفار، وجاء بالقدوة السامية في ذلك، قال تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير} [سورة الممتحنة:٤]. فالقرآن جاء بالحديث عن إبراهيم الخليل في عدد مِنَ السور المكية والمدنية، وفي كل موضع يظهر لنا هذا الخليل بصورة ومشهد مِن مشاهد العبودية والدعوة والمحاجة والعمل المؤسسي لقواعد الإسلام؛ كبناء الكعبة المشرفة، وهدم الأصنام، ومشروعية النداء للحج، ونحوها مِنَ الأعمال الصالحات التي أبقت لهذا الرجل ذكرَهُ في العالمين.

المطلب الأول: الآيات القرآنية المشتركة في وصف الاصطفاء:

قال في حق الخليل عليه السلام: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ [البقرة:١٣٠]، وقال لهذه الأمة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر:٣٢]"(١).

أولًا المعنى الإجمالي:

يقول الطبري: "و"الاصطفاء": "الافتعال" من "الصفوة"، وكذلك "اصطفينا": "افتعلنا" منه، صيرت تاؤها طاء لقرب مخرجها مِن مخرج الصاد. ويعني بقوله: ﴿اصْطَفَيْنَاهُ﴾: اخترناه واجتبيناه للخلة، ونصيره في الدنيا لمن بعده إمامًا. وهذا خبر مِنَ الله تعالى ذكره عن أن مَن خالف إبراهيم عليه السلام فيما سَنَّ لمن بعده، فهو لله مخالف، وإعلام منه خلقَه أن مَن خالف ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو لإبراهيم مخالف؛ وذلك أن الله تعالى ذكرُه أخبر أنه اصطفاه لخلته، وجعله للناس إمامًا، وأخبر أن دينه كان الحنيفية المسلمة. ففي ذلك أوضح البيان مِنَ الله تعالى ذكرُه عن أن مَن خالفه فهو لله عدو لمخالفته الإمام الذي نصبه الله لعباده"(٢). فالاصطفاء ثابت في حق الخليل عليه السلام مِن خلال هذه الآية وغيرها مِنَ الآيات القرآنية.

وأما معنى التوريث والاصطفاء في آية غافر، فكما قال ابن عطية: "والكتاب هنا يريد به معاني الكتاب وعلمه وأحكامه وعقائده، فكأن الله تعالى لمَّا أعطى أمة محمد ﷺ القرآن وهو قد تضمن معاني الكتب المنزلة قبله،

(١) فنون الأفنان (ص ٢٠١).

فائدة: الاصطفاء هي هبة ربانية يختارها الله لبعض عبادة حسب ظروف الزمان والمكان، فقد اصطفى الله لبني إسرائيل طالوت، قال سبحانه: {قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيم} [سورة البقرة:٢٤٧]. وكذلك اصطفى الله مريم البتول، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِين} [سورة آل عمران:٤٢]. والاصطفاء ظاهر في هذه الأمة في ظهور علمائها ودعاتها والقائمين عليها بأمر الله تعالى مِنَ الأمراء والوزراء.

(٢) جامع البيان (١٩/ ٣٦٨).

فكأنه ورَّث أمة محمد الكتاب الذي كان في الأمم قبلها، {والذين اصطفينا} يريد بهم: أمة محمد صلى الله عليه وسلم. قاله ابن عباس وغيره[1]، وكأن اللفظ يحتمل أن يريد به جميع المؤمنين مِن كل أمة، إلا أن عبارة توريث الكتاب لم تكن إلا لأمة محمد ﷺ، والأول لم يورثوه، واصطفينا معناه: اخترنا وفضلنا"[2].

فتبين من خلال هذين المعنيين؛ أن الاصطفاء صفة اجتمعت في حق إبراهيم عليه السلام وحق أمة محمد ﷺ.

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخليل عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

وصفُ الاصطفاء جاء مشتركًا بين خليل الرحمن عليه السلام وبين أمة محمد ﷺ، **ويُمكن إجمال ذلك في عدة أمور:**

١-أن الاصطفاء للخليل عليه السلام جاء بعد مراحلَ مِنَ الاختبارات والابتلاءات التي تعرَّض لها في حياته الدعوية؛ مِن الإلقاء في النار ودعوته لقومه ونحوها، وهذه الأمة قامت اختباراتها وابتلاؤها الأولية في مهد دعوتها في مكة مِنَ التعذيب والتهجير والقتل.

٢-أن الاصطفاء منّة ربانية ليس للعقل والذوق فيها مدخلٌ، وهذا الفضل الذي ناله إبراهيم عليه السلام هو فضل نالته هذه الأمة المحمدية؛ وهي آخرُ الأمم على وجه الإطلاق؛ فضلًا وكرمًا. قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢٩]. يقول القاسمي: "فأعلمهم الله – جل ثناؤه – أنه قد آتى أمة محمد صلى الله عليه وسلم مِنَ الفضل والكرامة ما لم يُؤْتِهم؛ ليعلموا أنهم لا يقدرون على شيء مِن فضل الله، فضلًا عن أن يتصرفوا

(١) أخرجه ابن جرير (٣/ ٩١) في تفسيره، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر : الدر المنثور (تفسير السيوطي) (١٢/ ٢٨٥).
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٣٨).

في أعظمه؛ وهو النبوة، فيخصوا بها مَن أرادوا، وأن الفضلَ بيد الله دونهم ودون غيرهم مِنَ الخلق، يُؤتيه مَن يشاء مِن عباده"(١).

٣-أن ممَّا اصطفى الله به إبراهيم عليه السلام هي الخُلة، وهي أقصى غايات المحبة، وكذلك جاءت الأخبارُ بمحبة الله سبحانه لأوليائه ومحبته لبعض أفراد هذه الأمة؛ كعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما جاء في «الصحيح» عندما خاض الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لأعطين الراية** – أو قال: **ليأخذن** – **غدًا رجل يحبه الله ورسوله**، أو قال: **يحب الله ورسوله، يفتح الله عليه**"، فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففتح الله عليه"(٢). ويندرج تحتها محبة النبي صلى الله عليه وسلم لبعض أفراد الصحابة ممن صرَّح بحبهم؛ فإن محبة النبي ﷺ دليل وبرهان على محبة الله لهم، وهي غاية يطلبها أفراد الأمة مِن طلب مرضاة الله ومحبته سبحانه وتعالى.

٤- أن هذا الاصطفاء التي تمثل في شخصية إبراهيم عليه السلام ترتب عليه منهج عقدي متكامل، سارت عليه أمة محمد ﷺ مِن خلال نبذها للشرك ووسائله، واقتداءً بهذا المعلم، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

(١) محاسن التأويل (٩/ ١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٥٤)، باب ما قِيل في لواء النبي صلى الله عليه وسلم، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٢)، بابٌ: مِن فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

المطلب الثاني: الآيات القرآنية في وصف الاجتباء:

"**أنه قال عن الخليل:** ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:١٢١]، وقال لهذه الأمة: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]"(١).

أولًا: المعنى الإجمالي:

يقول ابن عاشور حول معنى الاجتباء: "والاجتباء: الاصطفاء والاختيار، قالوا: هو مُشتقٌّ من الجَبْي، وهو الجمع، ومنه جباية الخَراج، وجَبيُ الماء في الحوض الذي سُميت منه الجابية، فالافتعال فيه للمبالغة مثل الاضطرار، ووجه الاشتقاق: أن الجمع إنما يكون لشيء مرغوب في تحصيله للحاجة إليه"(٢). **فظهر أن** الاجتباء والاصطفاء بينهما تقارب كبير. وقال في آية الحج بعد أن أشاد بالجهاد في سبيله وأنه طريق الأنبياء، قال السعدي: "﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾؛ أي: اختاركم – يا معشر المسلمين– مِن بين الناس، واختار

---

(١) فنون الأفنان (ص ٤٨١).

(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٣٥٠). وانظر: تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد (٢/ ٣٧٢).
والاجتباء والاصطفاء مِن المترادفات، كما جاء في "اللسان". انظر: (١٤ / ١٣٠– ١٣١، ٤٦٣).
يقول د. حسن العواجي في تحقيقه لكتاب العجيلي: "ومِن هذا الحديث – على تقدير ثبوته: "إذا أحب الله عبدًا ابتلاه ببلية لا دواءَ لها؛ فإن صبر اجتباه، وإن رضي اصطفاه" – يكون الاصطفاء درجةً أعلى مِنَ الاجتباء". انظر: تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد (٢/ ٣٧٢).
وقفة: قلت: إن لفظ الاجتباء يكون غالبًا بعد الوقوع في الذنب أو ما قارب ذلك، وهذا يدل على أن الاجتباء يكون مِن سقط إلى علو، كما في قصة آدم: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} [سورة طه:١٢٢]، وقصة ذي النون: {فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} [سورة القلم:٥٠]. يقول النابلسي: "فدل هذا على أن الاجتباء إنّما حصل بعد واقعة الذنب". انظر: مبهمات القرآن للبلنسي (١/١٤٥).

لكم الدين، ورضيه لكم، واختار لكم أفضل الكتب وأفضل الرسل، فقَابِلُوا هذه المنحة العظيمة بالقيام بالجهاد فيه حق القيام"(١).

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخليل عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

القارئ لآيات المطلب يجد أن هناك بعضَ أوجهِ الاشتراك بين الخليل عليه السلام وبين هذه الأمة المحمدية:

١. أن الاجتباء وصفٌ يتحقق بالعمل وظهور الصفات الحميدة في العبد؛ فإبراهيم عليه السلام كان أمةً ومَعلمًا للخير، فاصطفاه الله لأنه مورد الخير والعطاء، وهذه الأمة المحمدية يتحقق فيها الاجتباء؛ لِمَا يقوم عليه مِن مقامات العلم والعمل والجهاد.

٢. أن الاجتباء للخليل عليه السلام جاء في سياق سورة النحل ؛ لبيان أن أجل نعمة هي نعمة النبوة؛ "لأن الاجتباء لا معنى له إلا التخصيص بأنواع التشريفات"(٢)، وهذه الأمة جعلها آخرَ الأمم لتكون خاتمةَ الأمم؛ خيريةً وزكاءً ونماءً.

٣. أن هذا الاجتباء للخليل عليه السلام جاء وصفًا مقترنًا بالهداية للصرط المستقيم، وأمة محمد ﷺ تقرأ الفاتحة في كل ركعة؛ طلبًا لصراط قوله تعالى: " ﴿ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء:٦٩].

٤. أن الاجتباء مرتبةٌ رفيعة ومنزلة شريفة لكل مَن حمل على نفسه العطاء والمجاهدة للنفس؛ لبلوغ مقامات العبودية لله تعالى. قال عطاء: "الاجتبائية أورثت المجاهدة، لا المجاهدة أورثت الاجتبائية. انتهى"(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٤٧).
(٢) اللباب في علوم الكتاب (١/ ٥١٨).
(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في ربى علوم القرآن (٤٢٦/١٨)، حاشية الطيبي على الكشاف (٥٣٧/١٠).

وقد يجمع الله لعباده بين خيرَيِ الدنيا والآخرة، كما جمعها لنبي الله يوسف عليه السلام. يقول ابن عاشور: "وإتمام النعمة عليه هو إعطاؤه أفضل النعم، وهي نعمة النبوءة، أو هو ضميمُه الملك إلى النبوءة والرسالة، فيكون المراد إتمام نعمة الاجتباء الأخروي بنعمة المجد الدنيوي"(١).

المطلب الثالث: الآيات القرآنية في وصف الصلاح في الدين:

"**إنه قال للخليل:** ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة:١٣٠]، وقال لهذه الأمة: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء:١٠٥]"(٢).

أولًا: المعنى الإجمالي:

الذي يقرأ في صفات الخليل عليه السلام؛ يجد كلمة (الاصطفاء) حاضرةً في السياق القرآني، سواءٌ كان في هذه الآية أو في غيرها مِنَ الآيات، وهذا يُبرهن على أن هذا الوصف هو أصل يتفرع عنه بقية الخصال والصفات؛ كالصلاح ونحوها. يقول الطبري: "و"الصالح" مِن بني آدم: هو المُؤَدِّي حقوق الله عليه. فأخبر تعالى ذكرُه عن إبراهيم خليله، أنه في الدنيا صَفِيٌّ، وفي الآخرة وَلِيٌّ، وأنه وارد موارد أوليائه الموفين بعهده"(٣). ثم جاء الحديث عن صفة الأمة المحمدية: فـ: "عن عليّ، عن ابن عباس قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، قال: أخبر سبحانه في التوراة والزبور وسابق

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٢١٦).
(٢) فنون الأفنان (ص ٤٨١).
(٣) جامع البيان، ت: شاكر (٣/ ٩١). يقول الشوكاني: "والظاهر أن هذا تبشير لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بوراثة أرض الكافرين، وعليه أكثر المفسرين" انظر: فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٠٨).

علمه قبل أن تكون السماوات والأرض، أن يُورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم الأرض، ويُدخلهم الجنة، وهم الصالحون"(١).

فالوصف بالصلاح مُؤْذِن بدخول الجنة، وهي غاية منتهى العباد والسالكين طريق التعبد.

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخليل ﷺ وأمة محمد ﷺ:

وصفُ الصلاح جاء مشتركًا بين خليل الرحمن ﷺ وبين أمة محمد ﷺ، **ويمكن إجمال ذلك في عدة أمور:**

١. إذا كان وصف الصلاح في الآخرة، فدخول إبراهيم ﷺ – قطعي لا شك – فيه؛ إذ إنه مِن جملة الصالحين، وأمة محمد تبعٌ له في هذا الوصف مآلًا في الآخرة، فالآيتان فيهما بشارة بنعيم الجنة، وهو المقصد الأعظم الذي تطلبه النفوس وتتطلع إليه الغايات.

٢. إذا كان وصف الصلاح خاصًّا في الدنيا، وهو متحقق لنبي الله إبراهيم ﷺ، ويكون في حق أمة محمد بشارةٌ لتمكنها في الأرض، وأن صلاح الأمة هو مِن أعظم أسلحتها في قيادة العالم، ونشر العدل والأمن في المجتمعات. يقول القنوجي: "والظاهر أن هذا تبشير لأمته صلى الله عليه وسلم بوراثة أرض الكافرين، وعليه أكثر المفسرين"(٢).

٣. أن الأمة المحمدية إذا تتحقق فيها هذا الوصف مِنَ الصلاح الذي تمثَّله نبي الله إبراهيم ﷺ في جميع أطوار حياته؛ مما كان سببًا فاعلًا في ثباته أمام الظلم والطغيان، فكذلك هذه الأمة الموعودة بوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله تعالى زوى لي الأرض، حتى رأيت مشارقها**

(١) أخرجه ابن جرير (١٨/ ٥٤٩) في تفسيره، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (١٠/ ٣٨٦).

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (٨/ ٣٧٩)، انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٥/٢٨٤).

ومغاربها، وأعطاني الكَنْزين الأحمر والأبيض»[1]. يقول ابن جزي: "والعباد الصالحون: أمّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ففي الآية ثناء عليهم، وإخبار بظهور غيب مصداقه في الوجود؛ إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها"[2].

٤. أن كرامات الصالحين هي أثر مِن آثار صلاحهم وتوفيق الله لهم، وهم عند الله دون الأنبياء في المرتبة والمنزلة. يقول شيخ الإسلام: "وأما كرامات الصالحين فهي مِن آيات الأنبياء، كما تقدم، ولكن ليست مِن آياتهم الكبرى ولا يتوقف إثبات النبوة عليه، وليست خارقة لعادة الصالحين، بل هي معتادة في الصالحين مِن أهل الملل في أهل الكتاب والمسلمين، وآيات الأنبياء التي يختصون بها خارقةٌ لعادة الصالحين"[3].

المطلب الرابع: الآيات القرآنية في وصف الاهتداء:

"إنه قال للخليل: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل:١٢١]، وقال لهذه الأمة: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج:٥٤]"[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢١٥)، باب هلاك بعض هذه الأمة ببعض (٣٨٨٩).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٣١).

(٣) النبوات – ط السلفية (ص: ٣٠٠). تتمة: ولذا كان لفظ الصلاح يُطلق على الأنبياء، كما جاء في السنة في حديث الإسراء والمعراج: "فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: مَن هذا؟ قال: هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: أُرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قِبَل يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَل يساره بكى، فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح". انظر: صحيح البخاري (١/ ٧٨).

(٤) فنون الأفنان (ص ٤٨٢).

أولًا: المعنى الإجمالي:

آية النحل وسعت في جُمَلِها وحروفِها صفاتِ خليل الله ﷺ بكلمات جامعة شاملة، فالحديث جاء عند قوله: ﴿ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾. يقول الطبري: "وأرشده إلى الطريق المستقيم، وذلك دين الإسلام لا اليهودية ولا النصرانية"(١). وأما في آية الحج فيكون المعنى كما يقول القاسمي: "﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾؛ أي: إلى طريق الحق والاستقامة، فلا تَزِلّ أقدامهم بقَبول ما يُلقي الشيطان، ولا تقبل قلوبهم إلا ما يُلقي الرحمن؛ لصفائها. هذا هو الصواب في تفسير الآية"(٢).

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخليل ﷺ وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في مقام الاهتداء مُتَضَمّن لعدة أمور، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

١-نسبة الهداية إلى الله تعالى في حق الجميع، سواءٌ في حق إبراهيم ﷺ أو في حق أمة محمد، فتكون نعمة الهداية والتوفيق والإرشاد نعمة ربانية ليس للمخلوقين فيها شيءٌ. قال الله تعالى في حق نبينا محمد: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [سورة الرعد: ٤٠].

٢-أن الهداية الربانية لها صبغة ومُقَوّمات تقوم عليها؛ مِن أشرفها مقام العلم بالله تعالى.

فإبراهيم الخليل ﷺ هو أمة وَحدَه بما تحمله مِن تبليغ العقيدة الصحيحة والشرع الحنيف، وهذه الأمة الإسلامية قائمةٌ على هذا الطريق المستقيم الذي له منهج واضح مِن صحة المعتقد، وسلامة الفهم لأصول الشريعة على منهج السلف الصالح مِنَ الصحابة والتابعين ومَن بعدهم.

---

(١) جامع البيان (١٧/ ٣١٦).

(٢) محاسن التأويل (٧/ ٢٥٥).

٣-أن منهج إبراهيم عليه السلام في طريقته في الدعوة قائمٌ على أسس مِن صحة النظر والاستدلال، والمحجة للشبه الباطلة المتعلقة بوحدانية الله تعالى في حق مَنْ يَدَّعِي الأُلوهية من ملوك زمانه، أو في حقّ مَن تعلقتْ نفسُه بالكواكب السيارة في التأثير في الحوادث، أو في بيان بطلان عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تشفع ولا تدفع، كلُّها نابعة من نفس زاكية تعرف موارد الأدلة والحجج الدامغة، وهذا يُعطي الأمة المحمدية مزيدَ عنايةٍ في بناء المعتقد الصحيح القائم على الكتاب والسنة، فطريق الهداية الذي شرعه الله لعباده جاء وَفْق منهج الأنبياء الذي جمع بين معرفة الله، وسلوك طرق النجاة والسلامة دون مهالك الردى والضلال.

٤- أن الله سبحانه شرع الاهتداء لجميع مخلوقاته، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [سورة طه:٥٠]. قال السعدي: {ثم هدى}"كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية العامة المشاهدة في جميع المخلوقات، فكل مخلوق تجده يسعى لما خُلق له مِن المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم مِنَ العقل ما يتمكن به على ذلك"(١). وهذه الهداية العامة والفطرية التي جعلها الله في خلقه هي جذوة مِنَ الهداية التي يجعلها الله لعباده الموفقين لسلوك طريقه المستقيم.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٠٧).

المطلب الخامس: الآيات القرآنية في وصف السلام

"**إنه قال للخليل:** ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الصافات:١٠٩]، **وقال لهذه الأمة:** ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة النمل:٥٩]"(١).

أولًا: المعنى الإجمالي:

الحديث عن صفة السلام في «سورة الصافات» هي كالنجم في أفق السماء، والسلام هو: "الثناء الحسن، أي: يثنون عليه ثناءً حسنًا، ويدعُون له، ويترحمون عليه"(٢). فقد جاءت السورة بالحديث عن صفة السلام عن إبراهيم عليه السلام وعمن سبقه من الأنبياء كنوح؛ ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:٧٩]. يقول الطبري: "أمنةٌ مِنَ الله لنوح في العالمين أن يذكره أحدٌ بسوء"(٣)، وغيره كإبراهيم وموسى وهارون وإلياس عليهم السلام أجمعين كذلك.

وأما قوله سبحانه في حق أمة محمد: "**وافتتح ذلك بالقول بحمده وتحميده، وبالسلام على عباده الذين اصطفاهم للنبوءة والإيمان**"، فهذا اللفظ عامٌّ لجميعهم مِن بني آدم، وكان هذا صدر خطبة للتقرير المذكور. وقال ابن عباس: "العباد المُسَلَّم عليهم هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واصطفاهم لنبيه"(٤). قال القاضي أبو محمد: وفي هذا الاختصاص توبيخ للمعاصرين مِنَ الكفار"(٥).

وقيل: إن المراد بهذه الآية هم الأنبياء عليهم السلام، قال ابن كثير: "ولا

(١) فنون الأفنان (ص ٤٨٢).
(٢) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٤٥٩).
(٣) جامع البيان (٢١/ ٦٠).
(٤) أخرجه ابن جرير (٩٨/١٨) في تفسيره،وابن أبي حاتم (٢٩٠٦/٩)،وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة عبد بن حميد وابن المنذر. انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ٣٧٠).
(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٦٦).

منافاة؛ فإنهم إذا كانوا مِن عباد الله الذين اصطفى – أمة محمد –، فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى"[1].

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخليل عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف السلام مُتَضَمِّن لعدة أمور، **يُمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن السلام الذي هو الثناء الحسن هو عطاء مِنَ المولى سبحانه لنبيه إبراهيمَ عليه السلام، وأثرٌ مِن إجابة دعوته، قال تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]، كذلك جاء الدعاء بالسلام في صفة التشهد في الصلاة في أمة محمد، كما جاء في الأثر عن عبد الله بن مسعود: "كنا إذا صلينا خلف النبي صلى الله عليه وسلم، قلنا: السلام على جبريل وميكائيل، السلام على فلان وفلان، فالتفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "**إن الله هو السلام، فإذا صلى أحدكم، فليقل: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبدٍ لله صالحٍ في السماء والأرض، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله**"[2].

٢- أن الله كتب الأمنة والسلامة على عبدِه إبراهيم عليه السلام مِن جميع الآفات والمصائب والمُدْلهمات التي تعرَّض لها في سيرة حياته؛ مِن والده وقومِه، وسلَّمه الله مِنَ التهديد والتحريق، وكذلك حفظ الله أمة محمد مِنَ الهلاك والفناء رغم ما تعرضتْ له مِنَ الفتك والقتل والإبادة عبر التأريخ، فشاء

(١) تفسير ابن كثير(٦/ ٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٦٦)، باب التشهد في الأخيرة (٨٣١)، ومسلم (١/ ٣٠١)، باب التشهد في الصلاة (٤٠٢).

الله أن يكون بقاء هذه الأمة المحمدية إلى قيام الساعة؛ «**لا يزال طائفةٌ مِن أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»(١).

٣- أن مِن لوازم السلام على نبي الله إبراهيم عليه السلام: الذكرَ الحسن الذي تقلّده إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو متضمن لصفات الخير ومناقب الكمال، فبقاء الذكر هو أمانٌ في بقاء الأثر المترتب على ذلك الذكر الحسن، وهذا يَنْجَرّ تباعًا على أمة محمد وما وهبها البارئ مِن صفات وخصائصَ حميدةٍ؛ في تشريعاتها وآدابها ومقاصدها العالية؛ كالوسطية والرحمة والعدل والتعاون على البر والتقوى؛ مما يكون سبيلًا لديمومة هذه الأمة المحمدية.

المطلب السادس: الآيات القرآنية في وصف النجاة مِنَ النار:

"**إنه قال في حق الخليل:** ﴿قُلنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَردا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]،

وقال لهذه الأمة: ﴿وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾ [آل عمران: ١٠٣]"(٢)

أولًا: المعنى الإجمالي:

الحديث في هذا المطلب هو حديث عن النجاة مِنَ النار، فأما إبراهيم عليه السلام فقد نُجِّي مِن نار الدنيا التي أُلْقِي فيها، وأما أمة محمد فنُجِّيَت مِن عذاب نار الآخرة التي لو كفروا لوقعوا فيها.

قال الكلبي: "﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرۡدا وَسَلَٰمًا﴾؛ أي: ذات برد وسلام، وجاءت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٠١)، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة مِن أمتي ظاهرين على الحق» يقاتلون وهم أهل العلم (١٠١)، ومسلم (٣/ ١٥٢٣)، باب قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة مِن أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم مَن خالفهم» (١٥٢٣).

(٢) فنون الأفنان (ص ٤٨٢).

العبارة هكذا للمبالغة، واختُلِف كيف بردت النار؟ فقيل: أزال الله عنها ما فيها مِنَ الحرّ والإحراق. وقيل: دُفع عن جسم إبراهيم عليه السلام حرَّها وإحراقها مع ترك ذلك فيها. وقيل: خلق بينه وبينها حائلًا، ومعنى السلام هنا: السلامة"(١).

وأما التشبيه في آية «آل عمران»، فكما قال ابن عاشور: "فأرى أن شفا حفرة النار هنا تمثيل لحالهم في الجاهلية حين كانوا على وشك الهلاك والتفاني... واختيار الحالة المشبه بها هنا؛ لأن النار أشدُّ المهلكات إهلاكًا وأسرعُها، وهذا هو المناسب في حمل الآية ليكون الامتنانُ بنعمتَيْن محسوستين هما: نعمة الأخوة بعد العداوة، ونعمة السلامة بعد الخطر"(٢). فلُبَابُ الكلام أن النجاة مِنَ النار في حق إبراهيم عليه السلام جاء على الحقيقة، وأما في حق أمة محمد فعلى المجاز والتشبيه، وهو تصوير للواقع الذي عاشه الصحابة بعد الفرقة والحروب.

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخليل عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في مقام النجاة مِن النار مُتَضَمّن لعدة أمور، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

١- النجاة مِنَ النار هو نعيم بذاته، سواءٌ كان مِن نار الدنيا التي تُعتبر جزءًا مِن سبعين جزءًا مِن نار الآخرة(٣)، فكأن نجاةَ إبراهيم عليه السلام مِن نار الدنيا التي أُضْرِمت له هو تصوير لنجاة أمة محمد بعقيدتها يوم الدين؛ لأن إبراهيم عليه السلام هو راية العقيدة الصحيحة في زمنه.

٢- أن نجاة إبراهيم عليه السلام مِن هذه النار التي جعلها الله بردًا وسلامًا عليه، هو تغيير مِن خصائصها الطبعية؛ مِنَ الإحراق والتعذيب، وهذا برهان على تدبير الله لكونه، وأن قدرة الله ومشيئته هي الحاكمة على طبائع الأشياء،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٥).

(٢) التحرير والتنوير (٤/ ٣٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٢١)، باب صفة النار وأنها مخلوقة (٣٢٦٥).

فكان قيام هذه الأمة المحمدية هو هبة ربانية كتبها الله لهذه الأمة، وجمع كلمتها على التوحيد والتقوى، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]، فأمة محمد هي الفرقة الناجية من النار والتي سارت على منهج السلف الصالح بعد نسخ جميع الديانات السماوية كلها.

٣- أن العقيدة التي جاءت بها الرسل هي منبع الحياة وعدة النجاة مِن نار جهنم، فإبراهيم عليه السلام أنجاه الله بعقيدته الصافية التي وهبها الله إياها، وكذلك نجاة أمة محمد بهذا النبي العاقب؛ الذي جمع الله لها صفات الخير والسعادة والنجاة مِن كل سوء، فكان أسوة حسنة للعالمين.

٤- أن إبراهيم عليه السلام في دعوته لأبيه كان يُحذّره مِن النار، قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [سورة مريم:٤٥]. وكذلك جاء في شريعتنا ارتباط بعض الأعمال بالتخويف مِنْ عذاب النار؛ للدَّلالة على عظم المعصية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [سورة النساء:١٠]. وكذلك جاء في سنة المصطفى أدلة على هذا المعنى، مِن ذلك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**عُذبتِ امرأةٌ في هرة حبستها حتى ماتت جوعًا، فدخلت فيها النار**» قال: فقال: والله أعلم: «**لا أنتِ أطعمتِها، ولا سقيتِها حين حبستيها، ولا أنتِ أرسلتِها فأكلت مِن خشاش الأرض**»(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٢)، باب فضل سقي الماء (٢٣٦٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٢)، باب تعذيب الهرة ونحوها (٢٠٢٢).

المطلب السابع: الآيات القرآنية في وصف العبودية:

"**إنه قال للخليل:** ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصافات: ١١١]، **وقال لهذه الأمة:** ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١]"(١).

أولًا: المعنى الإجمالي:

العبودية أشرفُ أحوال بني آدم وأحبها إلى اللّه(٢)، فالله وصف خليلَه ﷺ بمقام العبودية ونسبه إليها، وكذلك جاء الوصف لأمة محمد ﷺ بإثبات صفة العبودية لهم في أكثرَ مِن مقام في القرآن، وهذا حقيقة الشرف والسُّؤْدد.

يقول الزبيدي: "أصل العبودية: الذل والخضوع، وقال آخرون: العبودية الرضا بما يفعل الرب، والعبادة فعل ما يرضى به الرب"(٣).

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخليل ﷺ وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في مقام العبودية متضمن لعدة أمور، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن مقام العبودية في حق الخليل ﷺ هو مقام السيادة والرفعة في هذا الباب، فأصبح هذا الوصف عَلَمًا عليه، والذي مِن أجله لحقه الأذى في بيته وأهله، وما حصل له مِنَ التنقل بين البلاد فرارًا بدينه، وطلبًا لتأسيس بناء الكعبة المشرفة والتي جعلها الله مأوى للأفئدة ومثوى للعبودية، فأصبحت الكعبة هي قِبلة أمة محمد ﷺ وعنوانَ عبوديتها للجليل سبحانه حجًّا وعمرة وطوافًا وسعيًا.

---

(١) فنون الأفنان (ص ٤٨٢).

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص ٦٠٢).

(٣) تاج العروس (٢/ ٤٠٩).

٢- أن الاشتراك في الصفة يُوجب الاشتراك في خصائص الصفة، فالأجساد وإن تباعدت وتنوعت؛ فالمنهج الصحيح هو سبيل توافق تلك الأرواح قبل الأبدان.

٣- أن وصف العبودية مِن مقتضيات التسليم لأوامر الله وشرعه؛ فإبراهيم عليه السلام لَمَّا دخل في هذا الوصف قدَّم مقتضيات التسليم في كل شؤون حياته في الأمن والخوف والمنشط والمكره. وهذا هو منهج أمة محمد؛ أن العبودية مقام لا ينفك عنها في جميع أحوالها وظروفها. ولذا كانت مرتبة الإحسان أشرف المراتب عند الله، كما جاء في حديث جبريل الطويل قال: ما الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1].

٤- أن وصف العبودية مرتبط بحقائق العمل، فإبراهيم الخليل كان مدرسةً للعمل والسعي لعبادة الله تعالى، والقيام بجميع صور العبودية مِنَ الأعمال القلبية والبدنية، وأمة محمد لها نصيبُها الأوفرُ في ذلك مِن جهة الاعتقاد الإيماني، ومِن جهة النصوص التي تعمل عليها: «**الإيمان بضعٌ وستون شعبةً، والحياء شعبةٌ مِنَ الإيمان**»[2].

المطلب الثامن: الآيات القرآنية في وصف التوبة:

"**إنه قال الخليل:** ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ **[البقرة: ١٢٨]**، **وقال لهذه الأمة:** ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ **[الأحزاب: ٧٣]**"[3].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٩)، باب سؤال جبريل النبي ﷺ (٥٣)، ومسلم (١/ ٣٧)، باب معرفة الإسلام والإيمان والقدر (٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١١)، باب أمور الإيمان (٩)، ومسلم (١/ ٦٣)، باب شعب الإيمان (٣٥).

(٣) فنون الأفنان (ص ٤٨٢).

أولًا: المعنى الإجمالي:

التوبة أولُ المنازل وأوسطُها وآخرها(١)، جاء في دعوة إبراهيمَ عليه السلام وابنِه إسماعيل طلبُ التوبة، قال القاسمي: "هذا الدعاء استتابة لِمَا فرَّط مِنَ التقصير؛ فإن العبد وإن اجتهد في طاعة ربه، فإنه لا ينفك عن التقصير مِن بعض الوجوه؛ إما على سبيل السهو والنسيان، أو على سبيل ترك الأَوْلى، فالدعاء منهما عليهما السلام؛ لأجل ذلك"(٢).

وأما آيةُ الأحزاب فهي عامة في كل مؤمن ومؤمنة، يقوم بحق الأمانة التي وضَعها الله على أعناق العباد، فلم يظهرْ في الآية اختصاصٌ بأمة محمد دون غيرها.

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخليل عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في مقام التوبة متضمن لعدة أمور، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن التوبة مقام مِن مقامات التألّه لله تعالى، فليست خاصةً بالمذنب والعاصي، بل هي درجةٌ مِن درجات العبودية، قال ابن القيم: "وبالجملة؛ فتوبة المحبين الصادقين العارفين بربهم وبحقه هي التوبة، وسواهم محجوب عنها، وفوق هذه توبةٌ أخرى"(٣). فالتوبة مقام يشترك فيه الخليل عليه السلام وأمة الخليل الثاني ﷺ.

٢- أن التوبة مِنَ الأبواب التي طلبها الأنبياء الكُمَّل عليهم السلام، مع علوّ كعبهم في باب الاقتداء، وهذه دعوة لأمة محمد أن يسلكوا منهجهم في ذلك، ولذا كان نبيُّنا الحاشر ﷺ يقول: «**والله، إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر مِن سبعين مرةً**»(٤).

---

(١) مدارج السالكين (١/٢٧٤).

(٢) محاسن التأويل (١/ ٣٩٨).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٢٨٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٧)، باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة (٦٧).

٣- أن التوبة بابٌ لتجديد العهد مع الرب سبحانه، ولطلب إزالة العوالق والأخطاء التي تعتري العبد مِن تقصير أو خطأ أو غفلة، وهذا لا يخلو مِن نبي أو أمة. ولذا كان مِنَ النعم على العبد "**أن توبة العبد محفوفة بتوبة مِنَ الله عليه قبلها، وتوبة منه بعدها**"(١). فمِنْ فوائد التوبة ومنافعها: "أن التائب يُوسع على نفسه، ويزيل الضيق والحرج مِن صدره، ويذهب الهم والكرب مِن قلبه، ويكون مخلصًا لله في عبادته، يتبع السيئة الحسنة؛ ولهذا فإن الرسول ﷺ يأمر بالتوبة ويحث عليها، ففي الحديث النبوي: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»"(٢).

٤- أن القرآن عرَض لنا جملة مِن دعوات إبراهيم عليه السلام، والتي مِن أشرفها في هذا المقام قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [سورة الشعراء: ٨٢]" وإنما كان هذا الكلام مِن إبراهيم احتجاجًا على قومه، في أنه لا تصلح الألوهة، ولا ينبغي أن تكون العبودة إلا لمن يفعل هذه الأفعال، لا لِمَن لا يطيق نفعًا ولا ضرًّا، وقيل: إن إبراهيم - صلوات الله عليه - عُنِي بقوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾: والذي أرجو أن يغفر لي قولي: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وقولي لسارة: «إنها أختي»"(٣).

(١) مدارج السالكين (٤٨١/١)، طريق الهجرتين (ص ٥٠٧).
(٢) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، حسين محمد المهدي (٣٨٥/٢).
(٣) جامع البيان، ت: شاكر (١٩/ ٣٦٣).

المطلب التاسع: الآيات القرآنية في وصف قَبول العمل الصالح:

"**إنه قال الخليل:** ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، **وقال لهذه الأمة:** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦]"(١).

أولًا: المعنى الإجمالي:

إن سرَّ التوفيق للعمل الصالح وثمرته هو الإخلاص لله سبحانه، وهذا دعاء إبراهيم عليه السلام وابنه بذلك؛ لأنه هو المقصد الذي ينشده العبد مِن خلال العمل، فبناء الكعبة المشرفة هو مِن أشرف الأعمال الصالحة، ومع ذلك كان الخوف ظاهرًا في خشية عدم قَبول العمل، وأمَّا آية الأحقاف فقد ذكر ابن الجوزي أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه(٢) في دعوته؛ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]. فحديث القرآن عن أحد أفراد الأمة هو حديث عن الأمة بمجموع أفرادها.

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخليل عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في مقام قَبول العمل الصالح متضمنٌ لعدة أمور، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

(١) فنون الأفنان (ص ٤٨٣).

(٢) رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الأكثرون: قالوا: "فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة، دعا الله عزّ وجلّ بما ذكره في هذه الآية، فأجابه الله، فأسلم والداه وأولاده؛ ذكورُهم وإناثُهم، ولم يجتمع ذلك لغيره مِنَ الصحابة". انظر: زاد المسير في علم التفسير (٤/ ١٠٧).والقاعدة: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

١- أن قَبول العمل هو مِنَ الأمور الغيبية التي لا يجزم أحد مِنَ الخلائق بثبوتها أو عدمه، وإنما هو حسن ظن بالله تعالى؛ يقوم على الإخلاص والمتابعة لمنهج رسول الله، فالخليل ﷺ هو أستاذ هذا الباب وعنوانه الذي مِن خلاله تُفهم مقاصد الشريعة، والأمة المحمدية بحاجة ماسة لمثل هذا المقام حتى لا يُعجَب العبد بعمله، ولا يُقلل مِن شأن عمل أو يحتقره، إنما هو موافقة لحقيقة العمل الذي يطلبه الخالق من عبده. "قالت عائشة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾، أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: "**لا يا بنت الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق، وهو يخاف ألَّا يقبل منه**"[(١)].

والمنافقون دأبهم ذم المتصدّقين مِنَ المؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]، فعن أبي مسعود قال: "لما أُمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثرَ منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء، فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ...﴾ الآية [التوبة: ٧٩]"[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٢/ ٤٦٥). وأخرجه إسحاق (١٦٤٣)، وابن ماجه (٤١٩٨)، والطبري في "تفسيره" ٣٤/١٨، والبيهقي في "الشعب" (٧٦٢)، والبغوي في "تفسيره" ٣/٣٩-٤٠ من طريق وكيع بن الجراح وهو ضعيف. وذكره الألباني في السلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٦)، باب الحمل أجرة يتصدق بها، والنهي الشديد عن تنقيص المتصدق بقليل (١٠١٨).

٢- أن طلب القَبول في أَجَلّ الأعمال الصالحة؛ كبناء البيت، هو مدعاة للزوم هذه الدعوة في أقل مِن ذلك مِنَ الحركات، وهذا درس بليغٌ لأمة محمد؛ أن يُدْرِكوا حقائقَ ذلك، فرُبّ درهم سبق ألف درهم

٣- أن خفاء قَبول العمل يدفع بالعبد إلى مزيد مواصلة وملازمة ومداومة على العمل الصالح، فنبي الله إبراهيم عليه السلام كان قانتًا لله حنيفًا، فالعبد يكون يومُه خيرًا مِن أمسه، وهذا منهج لأمة محمد ﷺ للعمل، فكان عمل نبينا ﷺ ديمة، كما قالت ذلك عائشة الصديقة.

٤- أن بناء الكعبة والدعاء بقَبول العمل الصالح هو مِن دعوى بقائها واستمرارها، فالبيت الحرام ما زال قائمًا يقصده الحاج والمعتمر منذ قيامه إلى أن يأذن الله بهدمه في آخر الزمان، وأمة محمد ﷺ أمة عمل ودعوة ومنهج، فهي – بإذن الله – أمة باقية إلى قيام الساعة حتى يأتي أمر الله.

المطلب العاشر: الآيات القرآنية في وصف البشارة بالخير(١):

"**إنه قال للخليل:** ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ﴾ [الصافات: ١٠١]، **وقال لهذه الأمة:** ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢]"(٢).

أولًا: المعنى الإجمالي:

الحديث عن البشارة الربانية هو رقي في سُلّم السعادة الأبدية التي يطلبها العبد بكل مكتسباته الحسية والمعنوية، فنبي الله الخليل كان عقيمًا وبلغ

(١) ومعلومٌ عن العربِ أنهم يُطْلِقُونَ البشارةَ نادرًا على الخبرِ بما يَسُوءُ، ومِنْ إطلاقِ البشارةِ على الخبرِ السَّيِّئِ قولُ الشاعرِ:

وبَشَّرْتَنِي يَا سَعْدُ أَنَّ أَحِبَّتِي جَفَوْنِي ... وَقَالُوا الْوُدُّ مَوْعِدُهُ الْحَشْرُ

فجفاءُ الأحبةِ أمرٌ يسوءُ، والبشارةُ به بشارةٌ بسوءٍ. انظر: العذب المنير في مجالس الشنقيطي (٢٨١/١).

(٢) فنون الأفنان (ص ٢٠١).

مِنَ العمر عِتيًّا، ورزقه الله الولد على كِبَر، فكانت نعمَ البشارةِ التي سعد بها[١]، قال ابن عطية: "وقال ابن عباس أيضًا وغيره:" هي السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ"[٢]، وهذا أليقُ الأقوال بالآية"[٣]، فسعادة أمة محمد هي مِنَ البشارة التي كتبها الله تعالى لهم في اللوح المحفوظ.

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخليل عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في مقام البشارة بالخير متضمن لأمور، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن البشارة في الخير، سواءٌ كانت متعلقة في أمر الدنيا؛ كالولد الصالح الذي سأله إبراهيم، وقد تحقق له على كِبَر - هو مِنَ السعادة التي تُبقي للعبد ذكرَه بين الأنام، فهذا نبينا ﷺ قال عن يوسف عليه السلام: «**الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم؛ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** عليه السلام»[٤]، وهذه الأمة جاءت البشارة في انتشار دعوتها مِن بين سائر الملل، فعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسدٌ بردةً له في ظل الكعبة، قلنا له:

---

(١) الخلاف في البشارة: هل هو إسماعيل أم إسحاق؟ يقول الشنقيطي: "اعلم - وفَّقني الله وإياك - أن القرآن العظيم قد دل في موضعين على أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق؛ أحدهما في «الصافات»، والثاني في «هود».

أما دَلالة آيات «الصافات» على ذلك؛ فهي واضحة جدًّا مِن سياق الآيات". انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ٣١٧). يقول ابن العربي: "وقد اختلف الناس فيه اختلافًا كثيرًا؛ قد بيّنّاه في مسألة تبيين الصحيح في تعيين الذبيح، وليست المسألة مِنَ الأحكام ولا مِن أصول الدين، وإنما هي مِن محاسن الشريعة وتوابعها ومتمماتها لا أمهاتها". انظر: أحكام القرآن لابن العربي، ط: العلمية (٤/ ٣٠).

(٢) أخرجه ابن جرير (١١٠/١٢) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١٩٢٢/٦)، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر وأبي الشيخ. انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٤/ ٣٤١).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ١٠٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٥١)، باب قوله تعالى: {لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ}(يوسف:٧) (٣٣٩٠).

ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «**كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيُجاء بالمنشار فيُوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه مِن عظم أو عصب، وما يصدُّه ذلك عن دينه، والله ليُتمّنّ هذا الأمر، حتى يسير الراكب مِن صنعاء إلى حضرموتَ، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[1].

٢- البشارة بالغلام الحليم نعمة قابلة للسلب، فقد كانت رؤيا إبراهيم عليه السلام لذبح ابنه صدقًا وحقًّا، فقام بالأمر كما أمره الله، ولم يُغير مِنَ الصفة شيئًا، ففداه الله بكبش عظيم، فأدرك بذلك حقيقة البشارة بالولد، وامتثل الأمر كما طلب، فجمع الله له بين بقاء البشارة وكمال الامتثال للرب سبحانه، وهي دعوة في أمة محمد للعمل بموجب البشارة الأخروية، والتي تستوجب مزيدَ عمل وامتثالًا وثباتًا على الحق حتى تتحقق هذه البشارة الربانية.

٣- أن إبراهيم عليه السلام قامت فيه وعليه حقائقُ التوحيد التي تُستجلب بها البشائر والبركات، فالأمة المحمدية متى ما تمسكت بشريعتها ومعتقدها؛ نالت بشائر التمكين والنصر المبين على الأعداء.

٤- أن البشارة بإسماعيل عليه السلام هو امتداد للبشارة لهذا النبي العربي محمدٍ ﷺ، الذي خُتمتْ به الرسالات. وهذا مِن لطيف ودقيق عمق ابن الجوزي في جعله الاقترانَ بين هاتين الآيتين، وهذا فيه إشارةٌ لاختيار ابن الجوزي أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وليس إسحاق عليه السلام.

****

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٠١)، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦١٢).

المبحث الثاني

الأوصاف القرآنية المشتركة بين موسى عليه السلام[(١)] وبين أمة محمد ﷺ

تمهيد:

الحديث عن كليم الله موسى هو حديث عن شخصية ملأت القرآن أحداثًا وحديثًا، قصةً وعِبرة، توجيهًا وحكمةً. رجلٌ بدأت رحلته مِنَ المهد حتى كمل العهد. تنوعت الموضوعات في تفاصيل هذا النبي المبارك، مِن إرهاصات قبل الولادة، وتسلط للفراعنة في زمانه، ومحن تتوالى في عصره، ورحلات وهروب مِن مطالبة، وعمل في بيئة بعيدة عن موطنه، ومناظرات وحوارات مع فرعون وملَئِه ومع سحرةٍ فجَّار إلى عُبَّاد أبرار.

والفاحص لسيرة كليم الله موسى يجد أن له تفردًا ببعض الخصائص التي اختُصّت به دون ما سواه؛ مثل: أن الله وهب له أخاه هارون نبيًّا، ومحبة الناس له منذ صغره، فما رآه أحد إلا أحبه.

وإن قصته مِن أوسع القصص في القرآن عرضًا وتفصيلًا. **وتحته عشرة مطالب:**

المطلب الأول: الآيات القرآنية في وصف انشراح الصدر:

"**قال في حق موسى:** ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ [طه: ٢٥]، **وقال لهذه الأمة:** ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]"[(٢)].

أولًا: المعنى الإجمالي:

الآية بيان لدعوة موسى عليه السلام بانشراح الصدر، فالشرح حقيقته: "تقطيع

---

(١) ذكر الإمام الصالحي في كتابه في موازاته ﷺ مما أُوتيه موسى عليه السلام، وذكر مِن ذلك: أُوتي نبع الماء من الحجر، وقد وقع ذلك لنبينا ﷺ، وغيرها مِنَ المشتركات بين هذين النبيين الكريمين". انظر: سبيل الهدى والرشاد (٩١٩/١٠).

(٢) فنون الأفنان (ص ٤٨٣).

ظاهرِ شيءٍ لينٍ. واستُعِير هنا لإزالة ما في نفس الإنسان من خواطر تكدره، أو توجب تردده في الإقدام على عمل ما؛ تشبيهًا بتشريح اللحم بجامع التوسعة"(١). فإن الصدر إذا ضاق؛ لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم"(٢).

وأما آية «الزمر» فقد ذُكر في سبب نزولها ثلاثة أقوال: "**أحدها:** أنها نزلت في أبي بكر الصِّدِّيق، وأُبيّ بن خَلَف، رواه الضحاك عن ابن عباس(٣). **والثاني:** في عليّ وحمزة وأبي لهب وولده، قاله عطاء"(٤). فتكون الآية نزلت في بعض أفراد أمة محمد، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية بيانٌ لمن شرح الله صدره للإسلام مِن أمة محمد، فهو يسير بنور مِنَ الله وتوفيق، فهداية التوفيق تكون بيد الله تعالى.

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الكليم عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في مقام انشراح الصدر متضمنٌ لعدة أمور، **يُمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن دعوة موسى عليه السلام تقوم على أسس وقدرات وأساليب في الدعوة؛ مِن أَجَلّها: صفاءُ الكلمة ووضوح الحجة، فانشراح الصدر مما يُجلي هذه القضية بصفاء، فجاءت هذه الدعوة مقرونة بنبي الله هارون عليه السلام، الذي تكاملت على يديه دعوة موسى عليه السلام، وأمة محمد تحتاج إلى قلوب منشرحة الصدر لتقوم بواجب الدعوة والقَبول والتسليم للإسلام. يقول

(١) التحرير والتنوير (١٦/ ٢١٠).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٠٤).
(٣) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.انظر :الدر المنثور (٢/٢٥٠٤). ولم أقف عليه.
(٤) زاد المسير في علم التفسير (٤/ ١٣). وأثر عطاء ذكره الواحدي في أسباب النزول بدون إسناد. انظر: أسباب النزول للواحدي (ص: ٢٤٨).

الفيروزآبادي: "ينبغي أن يُعلم أن أَجَلّ أسباب انشراح الصدر هو: التوحيد، وبحسب كماله وتمامه وقوته وزيادته، يزيد انشراح الصدر"(١).

٢- أن انشراح الصدر مِنَ القضايا المشتركة بين الأنبياء وغيرهم، فالنبي باعتبار بشريته ينشرح صدره لِتذهب عنه العقد النفسية، ويَتَّسِع قلبه لفهم الحجج ورد الشبهات، وأمة محمد تسير على هذا المسلك؛ فلا بد مِن انشراح الصدر الذي يكسبها ثباتًا أمام مزالق المنحرفين والمستهزئين، وهو البوابة الأولى لِقَبول الحق وسماعه والإذعان إليه. يقول الرازي: " المراد بشرح الصدر هو: ذلك الاستعداد الشديد الموجود في فطرة النفس، وإذا كان ذلك الاستعداد الشديد حاصلًا؛ كفى خروج تلك الحالة مِن القوة إلى الفعل بأي سبب"(٢).

٣- أن انشراح الصدر مِنَ العطاء الرباني الذي يسأله العبدُ ربَّه أن ينال منه حظًّا وافرًا، والأمة المحمدية بحاجة أن تسأل ذلك حتى يزيد عطاؤها ودعوتها للناس، فالعبد كلما ضاق صدره انغلقت أمامه المعاني والمباني لقضايا قد تكون بديهية أو أساسية. يقول الفيروزآبادي: "ومِن جملة أسباب انشراح الصدر: نورٌ يجعله الباري تعالى في قلب العبد، ضياء وذلك نور الإيمان، فمتى ما وقع في قلب العبد دخله الفرح والسرور، والانشراح وسَعة القلب، وظهر فيه"(٣).

٤- أن انشراح الصدر مِن أعظم المكتسبات التي ينالها العبد في مسيرة حياته حتى يقودها إلى مرضاة ربه سبحانه، وقد ذكر ابن القيم مجموعةً مِنَ الأسباب التي تبعث إلى انشراح الصدر: "فالهدى والتوحيد مِن أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال مِن أعظم أسباب ضيق الصدر

---

(١) سِفر السعادة (ص: ١٢٣).
(٢) تفسير الرازي (٢٦/ ٤٤٠).
(٣) سِفر السعادة (ص ١٢٣).

وانحراجه، ومنها: النور الذي يقذفه الله في قلب العبد، وهو نور الإيمان؛ ؛ فإنه يشرح الصدر ويوسعه حتى يكون أوسعَ مِنَ الدنيا... ومنها: الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى، ومحبته بكل القلب، والإقبال عليه والتنعم بعبادته"(١).

المطلب الثاني: الآيات القرآنية في وصف تيسير الأمور:

"**إن موسى سأل:** ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [سورة طه:٢٦]، **وقال لهذه الأمة:** ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة:١٨٥]"(٢).

أولًا: المعنى الإجمالي:

هذه الدعوة الثانية لموسى كليم الرحمن؛ أي: "وسهّل عليّ القيام بما تكلفني مِنَ الرسالة، وتحملني من الطاعة"(٣). وجاءت آية البقرة في بيان يسر الشريعة المحمدية في أحكامها وتدرجها في التشريع، وبيان مقاصدها مِنَ التعبد والهداية والشكر لله تعالى؛ وذاك في حق أمة الوسطية، فاجتمع لنا طلب التيسير مِنَ الكليم(٤)، وحصول التيسير في خصائص الأمة المحمدية.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٢٣).

(٢) فنون الأفنان (ص ٤٨٣).

(٣) جامع البيان (١٨/ ٢٩٩).

(٤) فإن مِنَ التيسير الذي طلبه موسى عليه السلام لأمة محمد: تخفيفَ عدد الصلوات؛ فقد جاء في حديث الإسراء والمعراج: "ففرض الله عز وجل على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربِّك، فإنَّ أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت، فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها، فقال: راجعْ ربك، فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه، فقال: ارجع إلى ربك؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته، فقال: هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لديّ". أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٧٩)، باب كيف فُرضت صلاة الإسراء؟ (٣٤٩)، ومسلم (١/ ١٤٨)، باب الإسراء برسول الله (١٦٣).

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الكليم ﷵ وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في مقام تيسير الأمور تضمن عدة أمور، **يُمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن دعوات الأنبياء لها ميزانٌ ثقيل مِنَ الاعتبار والنظر في أغوارها، فإن مِنَ السذاجة أن يتعامل المرء مع مثل هذه الدعوات بسطحية، دون أن يقرأ العمق الذي تحتويه تلك الدعوة، يقول أبو السعود: "وأن يسهل عليه مع ذلك أمره الذي هو أَجَلُّ الأمور وأعظمُها، وأصعب الخطوب وأهولها؛ بتوفيق الأسباب ورفع الموانع"(١).

وأمة الوسطية تطلب هذا مِن مَعدنها القرشي ﷺ المبعوث لها؛ فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "ما خُير رسول الله بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناس منه"(٢).

٢- أن لتيسير الأمور أبعادًا ومقاصدَ وقنواتٍ متعددةً، وهذه الأمور تُطلب بالعلم والعمل والتجربة، قال السعدي: "سهِّل عليّ كل أمر أسلكه، وكل طريق أقصده في سبيلك، وهون علي ما أمامي من الشدائد، ومن تيسير الأمر أن ييسر للداعي أن يأتي جميع الأمور من أبوابها، ويخاطب كل أحد بما يناسب له، ويدعوه بأقرب الطرق الموصلة إلى قَبول قوله"(٣). فأمة محمد أمة جاءت متأخرةً مِن بين سائر الأمم؛ لكي تتقدم عليها في دعوتها وطريقتها ومنهجها وحكمتها البالغة في الدعوة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة »(٤).

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٠٦/٣)، كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، ومسلم (٤/ ١٨١٣)، باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره مِنَ المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته (٢٣٢٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٠٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٢)فضل صلاة الجمعة (٨٧٦)، ومسلم (٢/ ٥٨٦)باب هداية =

٣- أن الحياة التي عاشها موسى عليه السلام بحُلْوها ومرها، وعسرها ويسرها هي منطلقات ومقدمات لتسهيل أمور الدعوة؛ فإن هذه التي طلبها كليم الرحمن قد تحقق واقعُها في مجريات الأحداث التي عاشها موسى عليه السلام مع فرعون وقومه؛ لتكون تلك المعالجة التي خاضها موسى عليه السلام في قومه مع شدة العناد والمكابرة، سُلّم نجاة في ثبوت طائفة مِن قومه على الحق، وهذه دعوة لأمة التوحيد المحمدية أن تدعو بهذه الدعوة التي هي منارة مِن طرق الهداية لأيسر السبل في ثبات ونجاح الدعوة. وقد جاء في الأثر: "**اللهم لا سهلَ إلا ما جعلته سهلًا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلًا**"[(١)].

المطلب الثالث: الآيات القرآنية في وصف الامتنان:

"**إنه قال في حق موسى:** ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُون﴾ [سورة الصافات:١١٤]، **وقال لهذه الأمة:** ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٤]"[(٢)]..

أولًا: المعنى الإجمالي:

الامتنان "والمنة: النِّعْمَة، والمن: الْقطع؛ وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُون﴾؛ أَي: غير مَقْطُوع، وَسُميت النِّعْمَة منَّةً؛ لِأَنَّهَا مَقْطُوعَة عَن المحن والشدائد"[(٣)]. يقول الشنقيطي: "ذكر -جل وعلا- مِنّتَه عليهما في غير هذا

=

هذه الأمة ليوم الجمعة (٨٥٥).

(١) أخرجه ابن حبان (٩٧٤)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٥١)، والبيهقي في الدعوات الكبير (٢٦٦).

(٢) فنون الأفنان (ص: ٤٨٣).

(٣) تفسير السمعاني (١/ ٣٧٥).

الموضع؛ كقوله في «طه»: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى* وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ [سورة طه:٣٧-٣٦]؛ لأن مِن سُؤله الذي أوتيه إجابةَ دعوته في رسالة أخيه هارون معه، ومعلوم أن الرسالة مِن أعظم المنَن"(١). وذكر الله مِنَّتَه على أمة محمد بمبعث هذا الرسول، يقول أبو السعود: "﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ﴾ جواب قسم محذوف؛ أي: والله لقد مَنَّ؛ أي: أنعم ﴿عَلَى الْمُؤمِنِينَ﴾؛ أي: مِن قومه عليه السلام ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: مِن نسبهم أو من جنسهم عربيًّا مثلهم؛ ليفقهوا كلامه بسهولة، ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به، وفي ذلك شرف لهم عظيم. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾، وقُرِئ: (مِنْ أَنْفَسِهِمْ)؛ أي: أشرفهم"(٢).

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الكليم عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف الامتنان يتضمن عدة أمور، **يمكن إجمالُها فيما يلي:**

١- أن المنة التي نالها كليم الله وأخوه هارون عليهما السلام ليست نعمةً قاصرة عليهما، إنما الفضل فيها على سبيل التعدية والنفع لغيرهم، يقول ابن عاشور: "والمنة عليهما مِن قبيل إيصال المنافع؛ فإن الله أرسل موسى لإنقاذ بني إسرائيل مِنِ استعباد القبط لإبراهيم وإسرائيل"(٣). والمنة على الأمة المحمدية هي مبعث النبي ﷺ الذي جمع شمائل الخير كلها في رسالته ودعوته الخاتمة.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/ ٣١٩).
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢/ ١٠٧).
(٣) التحرير والتنوير (٢٣/ ١٦٣).

٢- أن مِن عظمة الامتنان: أن يُسخر الله لعبده مِنَ القدرات التي تفوق القدرة والعقل البشري؛ ليقوم النبي بمقام الرسالة بحسب المعطيات التي عنده، فالرسالة اصطفاء وليست اقتدارًا بشريًّا، قال الماوردي: "**فإن قيل:** ما وجه الامتنان بأَن بعث في الأُميِّين نبيًّا أُمِّيًّا؟ **فالجواب عنه ثلاثة أوجه: أَحدها:** لموافقة ما تقدمت به بشارة الأَنبياء. **ثانيها:** لمشاكلة حاله لأَحوالهم، فيكون أَقرب إِلى موافقتهم له. **ثالثها:** لينتفي عنه سوء الظن في تعليمه ما دعا إِليه من الكتب التي قرأَها والحِكَم التي تلاها. ونزيد على ذلك: أَن الله اختاره أُمِّيًّا؛ لتكون أُميَّته مؤكدة لإِعجاز القرآن، وكونه آية على صدقه"(١).

٣- أن الامتنان بالرسالة هي أعظم المقامات عند الله وأشرفُها، فناله الأنبياء دون غيرهم، ونالت هذه الأمة أعظم المنن وأرفعها، وهي بعثة نبي المرحمة ﷺ، يقول السعدي: "هذه المنة التي امتن الله بها على عباده أكبر النعم، بل أصلها، وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول الكريم الذي أنقذهم الله به مِنَ الضلالة، وعصمَهم به مِنَ الهلكة"(٢).

٤- أن المنة بالقرآن والرسالة على العرب أشد مِن غيرهم؛ لأن الكتاب والرسالة جاءت باللسان العربي، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [سورة الزخرف:٤٤]. وشرَّف الله بني إسرائيل بموسى وأخيه؛ لكونهما كانوا من بني جلدتهم، وعاشا بين أقوامهم، وهذا من أعظم المنَنِ على تلك الأمم التي ما عرفت قدر تلك الرسالات.

(١) التفسير الوسيط، مجمع البحوث (١٠/ ١٤١٠).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٥٥).

المطلب الرابع: الآيات القرآنية في وصف المعية الربانية:

"**إنه أخبر عن موسى:** ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [سورة الشعراء:٦٢]، و**قال لهذه الأمة:** ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل:١٢٨]"(١).

أولًا: المعنى الإجمالي:

إن موسى كليم الرحمن عليه السلام ضرب أروع الأمثلة في التوكل على ربه في موقف عصيب؛ فالبحر أمامه والجند خلفه يطلبون هلاكه، والمعنى: "إن معي ربي بالنصر والهداية سيهدين؛ أي: يدلني على طريق النجاة"(٢). فالمعية حاضرة مع نبي الله، وهي حاضرة في حق أمة الإسلام لمن قام بموجباتها. يقول القاسمي: "لأنه تعالى مع المتقين والمحسنين بالمعونة والنصر والتأييد، فيحفظهم ويكلؤهم ويُظهرهم على أعدائهم"(٣). فالمعية جاءت لكليم الله في جميع حياته، وكذلك هي صفة ربانية لأمة محمد وغيرهم مِنَ الأمم الموحدة. والآيتان كلتاهما مِنَ المعية الخاصة(٤)، والمعية تكون في حق الأمة وكذلك الفرد.

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الكليم عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف المعية الربانية يتضمن عدة أمور، **يُمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن المعية المتحصلة لكليم الله تعالى عليه السلام مِن قِبَل ربه هو الذي جعله يمتثل للأمر، دون النظر للمخاطر التي تقع في أعين الناس، وأمة

---

(١) فنون الأفنان (ص: ٢٠٢).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١١٨).

(٣) محاسن التأويل (٦/ ٤٢٥).

(٤) تتمة: أن القرآن قد جعل المعية خاصة أكثر مما جعلها عامة، ولو كان المراد اختلاط ذاته بالمخلوقات؛ لكانت عامة لا تقبل التخصيص. انظر: منهاج السنة النبوية (٨/ ٣٧٧).

محمد ﷺ متى ما حصل لها مِنَ المعية الربانية المتوافقة مع أمر الله ونهيه؛ حصل لها من الكمال والحفظ والسداد(١).

٢- أن النصر والنجاة التي حصلت لموسى عليه السلام وقومه؛ كانت أثرًا مِن آثار المعية الربانية، فكان ذلك اليوم يوم عز وتمكين لموسى عليه السلام وقومه على فرعون الطاغية ومَلَئِه، فجعل الله ذلك اليوم المشهود وقتًا لصيام يوم عاشوراء مُتَوَجّبًا على بني إسرائيل، فكانت اليهود تصومه، وأمر الله نبينا بصومه، ووضع على ذلك أجرًا عظيمًا(٢).

٣- أن المعية الربانية التي استمسك بها موسى كليم الله هي المعية التي لا بد على أمة محمد أن تلتزمها، فالنتائج والمقادير التي يكتبها الله على أهل التوحيد مِن أمة محمد لا تتنافى مع استحضار المعية، فالقدر لا يتعارض مع المعية الربانية.

٤- أن الأسباب الشرعية لا بد على العبد أن يأخذ بأزمتها، وهذا لا يتنافى مع المعية الربانية، وقد تنتهي بالعبد الحيل فتبقى مصادر المعية والأسباب المنجية مِنَ الرب بلا تقدير أو توقع؛ كما حصل لانفلاق البحر، والأمة مطالبةٌ بالتسمك بالمنهج الصحيح.

---

(١) قصة العلاء بن الحضرمي وركوبه البحر لغزو دَارِين. انظر: البداية والنهاية (٩/ ٣١١).

(٢) قال صلى الله عليه وسلم : "وصيام يوم عاشوراء، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله". أخرجه مسلم (٢/ ٨١٨)، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصوم يوم عرفة وعاشوراء والإثنين والخميس (١١٦٢).

المطلب الخامس: الآيات القرآنية في وصف الاستجابة الربانية:

"**إنه قال لموسى:** ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ **[سورة يونس:٨٩]، وقال لهذه الأمة:** ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [سورة الشورى:٢٦]"(١).

أولًا: المعنى الإجمالي:

جاء البيان القرآني بإجابة دعوة موسى عليه السلام وأخيه على قومهم لَمَّا طغَوْا وقتلوا وأكثروا في الأرض الفساد، وجاء الحديثُ عن الإجابة لدعوة أمة محمد: "﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾؛ فيه ثلاثة أقوال: **أحدها** أن معنى ﴿وَيَسْتَجِيبُ﴾: يجيب و﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾ مفعول، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى؛ أي: يجيبهم فيما يطلبون منه. وقال الزمخشري: أي أصله: يستجيب للذين آمنوا، فحذف اللام"(٢).

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الكليم عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف الاستجابة يتضمن عدة أمور، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن إجابة الدعوة مِن قِبَل الله تعالى هي مِن دلائل المنهج الصحيح، فإن الله يجيب دعوة كل مظلوم، ودعوة موسى عليه السلام كانت بعد معاناة وشدائدَ، فقال في دعوته: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [سورة يونس:٨٨]، وجعل إجابة الدعاء لأمة محمد هي دعامةٌ مِن دعائم النصر والفأل.

(١) فنون الأفنان (٤٨٣).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ٢٤٨)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٢٢٣) بدون كلمة: (أصله)، هذه اللفظة غير موجودة في الكشاف.

٢- أن الدعاء عبادة تمَثَّلها نبي الله موسى عليه السلام في حياته ودعوته، ومَن تتبع قصة الكليم وجد الدعاء حاضرًا في حياته؛ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ﴾ [سورة القصص:٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [سورة القصص:٢٤]، وقال في حق أمته: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة:١٨٦].

٣- أن شعور الأعداء بتحقق هذه الدعوات المباركة للأنبياء، سواءٌ كانت في العاجل أو الآجل، وكذلك لأتباعهم مِن أمة محمد أو غيرها مِنَ الأمم – تُعتبر حجةً دامغة في عقولهم ومعتقداتهم والفاسدة، وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يتمثل هذا المنهج في سيرته العطرة، فمِن ذلك: ما حصل له في معركة بدر لما دعا ربه فاستقبل صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتِ ما وعدتني، اللهم إنْ تُهلك هذه العصابةَ مِن أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض**»[(١)]، فما زال يهتف بربه، مادًّا يديه مستقبلَ القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على مَنكبَيه، ثم التزمه مِن ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مُناشدَتُك ربَّك، فإنه سينجز لك ما وعدك[(٢)].

٤- أن السعي لإجابة الدعاء متطلبة استجماع الدوافع والأسباب والآثام التي تمنع مِن إجابة الدعاء، فنبي الله موسى عليه السلام تحصلت عنده الأسباب التي

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٨٤)، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم (١٣٨٣).

يتمثل بها إجابة الدعاء، والأمة المحمدية مطالبة بسلوك ذلك؛ "ثم ذكر **الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام؛ فأَنَّى يُستجاب لذلك؟**"(١).

المطلب السادس: الآيات القرآنية في وصف العلو البشري:

"**إنه قال لموسى:** ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾ [سورة طه:٦٨]، **وقال لهذه الأمة:** ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ [سورة آل عمران:١٣٩]"(٢).

أولًا: المعنى الإجمالي:

الآية الأولى حقيقةٌ في مرتبة علو نبي الله موسى عليه السلام على طاغية الزمان والمكان فرعونَ ومَلَئِه بعد منازلة السحرة بين الناس؛ فالعلو رافع للخوف، وأما الأمة المحمدية قال عنها القاسمي: "أي: إن كنتم مؤمنين، فلا تهنوا ولا تحزنوا، فإن الإيمان يُوجب قوة القلب، والثقة بصنع الله تعالى، وعدم المبالاة بأعدائه. أو إن كنتم مؤمنين فأنتم الأعلَوْن؛ فإن الإيمان يقتضي العلو لا محالة- أفاده أبو السعود"(٣). فالعلو الديني يُستمَدُّ مِن البارئ سبحانه، فالنبي والولي وأتباع الأنبياء تحيط بهم هذه المرتبة الدينية.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٣)، باب قَبول الصدقة مِن الكسب الطيب وتربيتها (١٠١٥).

(٢) فنون الأفنان (٤٨٤). قال القرطبي: "وفي هذه الآية بيانُ فضل هذه الأمة؛ لأنه خاطبهم بما خاطب به أنبياءه؛ لأنه قال لموسى: {إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى} [طه: ٦٨]، وقال لهذه الأمة: {وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ}. وهذه اللفظة مشتقة مِن اسمه الأعلى؛ فهو سبحانه العلي". انظر: الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٢١٧).

تتمة: مِنَ اللطائف: أن جملة {لاَ تَخَفْ} جاءت في قصة موسى في سبع آيات مِنَ القرآن الكريم. وجملة: {تَهِنُوا} جاءت في القرآن في ثلاثة مواضع، كلها خاصة بأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

(٣) محاسن التأويل (٢/ ٤١٦). انظر: تفسير إرشاد العقل السليم (٢/٨٩).

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الكليم عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف العلو البشري يتضمن عدة أمور، **يمكن إجمالُها فيما يلي:**

١- أن الشعور بالعلو والرفعة عند الله تسوق العبد إلى مواطن الطمأنينة والسكينة التي ترفع عنه وهم الخوف والفزع مِن سراب الباطل ومخيلاته، فالأمة المحمدية تقرأ سيرة الكليم لتتكلم عن قوة الحق وجولته بين الهالة الإعلامية للسحرة وخزعبلاتهم، فالحق ينطلق مِنَ المعنى ليتوافق مع واقع الحقيقة، والباطل الزائف يظهر بزخارف وأشكال تخالف حقيقة الأمر.

٢- إن الخوف الذي يقع مِنَ النبي الكليم قد يكون له مبرراتٌ تحتاج إلى نظر وتأمل.

قال الرازي: "كيف وقع الخوف في قلبه؟ **والجواب عنه من وجوه. أحدها:** أن ذلك الخوف إنما كان لِمَا طُبع الآدمي عليه مِن ضعف القلب، وإن كان قد علم موسى عليه السلام أنهم لا يصلون إليه، وأن الله ناصره. وهذا قول الحسن. **وثانيها:** أنه خاف أن تدخل على الناس شبهةٌ فيما يرَوْنه، فيظنوا أنهم قد ساوَوْا موسى عليه السلام ويشتبه ذلك عليهم. وهذا التأويل متأكد بقوله: {لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى}. وهذا قول مقاتل. **وثالثها:** أنه خاف حيث بدؤوا وتأخر إلقاؤه أن ينصرف بعض القوم قبل مشاهدة ما يُلقيه، فيدوموا على اعتقاد الباطل. **ورابعها:** لعله عليه السلام كان مأمورًا بألَّا يفعل شيئًا إلا بالوحي، فلما تأخر نزول الوحي عليه في ذلك الوقت؛ خاف ألَّا ينزل عليه الوحي في ذلك الوقت، فيبقى في الخجالة. **وخامسها:** لعله عليه السلام خاف مِن أنه لو أبطل سحر أولئك الحاضرين؛ فلعل فرعون قد أعد أقوامًا آخرين فيأتيه بهم، فيحتاج مرة أخرى إلى إبطال سحرهم، وهكذا مِن غير أن يظهر له مَقطعٌ، وحينئذٍ لا يتم الأمر ولا يحصل المقصود"[١].

(١) تفسير الرازي (٢٢/ ٧٣).

وجميع هذه الاعتبارات قد ترد على ذهن المُناظِر في الحق والمجادل للباطل، فالأمة المحمدية تستلهم مِن هذا القرآن مناهج الأنبياء، ومعترك حياتهم الملموس والمشاهد في صورة تتسم بالوضوح والعبر.

٣- أن حقيقة العلو لا تظهر إلا وقت المزاحمة والمجالدة بين الحق والباطل، فالأشياء لا تظهر حقائقها إلا عند التقابل والتضاد، فالحق بجنوده لا يقبل رائحة الباطل، والباطل جند مِن جنود الحق يجيء ليكشف للعاقل والمتأمل ضعفه وزهوقه أمام الحق الساطع ببراهينه ودلائله الكبرى والصغرى والعامة والخاصة، ونبي الملحمة يُلقّن أصحابه عند سماع قول أبي سفيان وقد أخذ يرتجز: أُعلُ هُبَل، أُعْل هبل، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ألا تجيبوا له**»، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: "**قولوا: الله أعلى وأجل**"(١).

يقول ابن القيم: "والله سبحانه إنما ضمن نصر دينه وحزبه وأوليائه بدينه علمًا وعملًا، لم يضمن نصر الباطل، ولو اعتقد صاحبه أنه محقّ، وكذلك العزة والعلو إنما هما لأهل الإيمان الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو علم وعمل وحال"(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٩٥)، باب غزوة أحد (٤٠٤٣).

(٢) إغاثة اللهفان مِن مصايد الشيطان (٢/ ١٨١).

المطلب السابع: الآيات القرآنية في وصف المحبة الربانية:

"**إنه قال لموسى:** {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} **[سورة طه:٣٩]، وقال لهذه الأمة:** {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [سورة مريم:٩٦]"(١).

أولًا: المعنى الإجمالي:

قال الطبري: "إن الله ألقى محبته على موسى، كما قال جلّ ثناؤه: {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي}، فحببه إلى آسية امرأة فرعون، حتى تبنَّته وغذّته وربَّته، وإلى فرعون حتى كفّ عنه عاديته وشرّه"(٢). وقال السعدي في حق أمة محمد وغيرها: "هذا مِن نعمه على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أنْ وعدَهم أنه يجعل لهم ودًّا، أي: محبة ووِدادًا في قلوب أوليائه وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب ودٌّ؛ تيسّر لهم كثيرٌ مِن أمورهم، وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقَبول والإمامة ما حصل، ولهذا ورد في الحديث الصحيح: "**إن الله إذا أحب عبدًا، نادى جبريل: إني أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم يُنادي في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يُوضع له القَبول في الأرض**"(٣)، وإنما جعل الله لهم ودًّا؛ لأنهم ودّوه، فوَدَّدَهم إلى أوليائه وأحبابه"(٤).

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الكليم عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف المحبة الربانية يتضمن عدة أمور، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

---

(١) فنون الأفنان (٤٨٤).

(٢) جامع البيان، ت: شاكر (٣٠٣/١٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٤٢)، باب كلام الله مع جبريل (٧٤٨٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٠)، باب إذا أحب الله عبدًا (٢٦٣٧).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٠١).

١- أن مِن حكمة الله سبحانه أن يجعل في قلوب العباد محبةً فطرية للأشخاص التي تنبعث مِن خلالهم خصال الخير والبركة والسعادة، فموسى كليم الله زرع الله في قلوب مَن حوله محبة تصرف وجوه الناس والأعداء عن أذيته، وأمة محمد شرَّفها الله بموجب تلك المحبة التي يضعها الله لعباده العاملين بطاعته، يقول ابن القيم: "وكون العبد محبوبًا لله أعلى مِن كونه مُحبًّا لله، فليس الشأن أن تُحبّ الله ولكنَّ الشأن أن يُحبّك الله، فالطاعة للمحبوب عنوان محبته"[١]. فكل فرد مِن أفراد أمة محمد يسعى جاهدًا أن يكون مِن زمرة المحبوبين عند الله، وما قصة علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر عنا ببعيد[٢].

٢- أن مِن القواعد التي ذكرها الشنقيطي: "أن مِن أنواع البيان التي تضمّنها؛ أن يُذكر في القرآن لفظٌ عامٌّ، ثم يُصرح في بعض المواضع بدخول بعض أفراد ذلك العام فيه، وقد قدمنا أمثلة متعددة لذلك، فإذا علمتَ ذلك فاعلم أنه – جل وعلا – في هذه الآية الكريمة ذكر أنه سيجعل لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات وُدًّا؛ أي: محبة في قلوب عباده، وقد صرَّح في موضعٍ آخرَ بدخول نبيه موسى – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام – في هذا العموم"[٣]. فخلصنا أن آية «طه» هي فرد مِنَ العموم في آية «مريم».

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٢٦٦).

(٢) قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: «لأُعطين الراية غدًا رجلًا يُفتح على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، فبات الناس ليلتهم أيّهم يُعطى، فغدَوْا كلهم يرجوه، فقال: «أين علي؟»، فقيل: يشتكي عينيه، فبصق في عينيه ودعا له، فبرئ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا خيرٌ لك مِن أن يكون لك حُمر النَّعَم». أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٦٠).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٥١٧).

٣- أن الله سبحانه يُسهل على أنبيائه طرق الدعوة والقَبول بين الناس، فالمحبة هي طيفٌ ولونٌ مِن ألوان القَبول والتسليم بين الناس، فكم مِنَ الناس مَن يُعجبه صورتك وحسن خلقك قبل أن يسمع منك كلمة! والأمة المحمدية هي أمة دعوة تحتاج أن تتزود بمثل تلك الخصال والأعمال الحميدة التي تكون وسيلةً لتحبيب الناس للخير، ولهذا شُرع في الإسلام محاسنُ الأخلاق بجميع أنواعها.

المطلب الثامن: الآيات القرآنية في وصف الأمان الرباني:

"**إنه قال لموسى:** ﴿وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ **[سورة القصص:٣١]**، **وقال لهذه الأمة:** ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام:٨٢]"[(١)].

أولًا: المعنى الإجمالي:

يقول الراغب: "أصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادرُ، ويُجعل الأمان تارة اسمًا للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسمًا لما يُؤمّن عليه الإنسان"[(٢)]. ففي قصة موسى عليه السلام وأحداثها الجسام مع فرعون وجنوده، تأتي البشائر بعدم الخوف مِن جميع المخاوف التي حوله من معجزة اليد والعصا و نحوها، وكذلك الأمن في أمة محمد، يقول ابن كثير: "هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في

(١) فنون الأفنان (٤٨٤). نكتة: ذكر ابن الجوزي في الآية ثلاثة أقوال: "أحدها: أنه إبراهيم وأصحابه، وليست في هذه الأمة. قاله علي بن أبي طالب. وقال في رواية أخرى: هذه الآية لإبراهيم خاصة، ليس لهذه الأمة منها شيءٌ. والثاني: أنه مَن هاجر إلى المدينة. قاله عكرمة. والثالث: أنها عامة، ذكره بعض المفسرين. وهل هي مِن قول إبراهيم لقومه، أم جواب من الله تعالى؟ فيه قولان". انظر: زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٥٠).
(٢) المفردات في غريب القرآن (ص:٩٠).

الدنيا والآخرة"(١). فلُبَاب الكلام أن الأمان الذي ناله كليم الله من ربه لصدق دعوته للتوحيد، والأمان المتحصل لأمة محمد هو بالتوحيد ونبذ الشرك.

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الكليم ﷺ وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف الأمان الرباني تضمن عدة أمور، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن الأمن الذي وُعد به كليم الله وعدٌ لا يتخلّف، كما أن الوعد الذي كُتب لأمة محمد وعدٌ مشروطٌ بعدم الشرك، يقول ابن عاشور: "وقوله: {لَهُمُ الأَمْنُ} أشارت اللام إلى أن الأمن مختص بهم وثابتٌ، وهو أبلغ مِن أن يُقال: آمنون. والمراد الأمن مِن عذاب الدنيا بالاستئصال ونحوه وما عُذّبت به الأمم الجاحدة، ومِن عذاب الآخرة؛ إذ لم يكن مطلوبًا منهم حينئذٍ إلا التوحيد"(٢).

٢- أن أسلوب عرض الحق وبيانه أمام الطغاة والمشككين والمتسائلين عن ماهية حقيقة الدين الإسلامي يتطلب توافقًا مع الفطرة وانشراح الصدر وطمأنينة القلب وثبات المبدأ، فكانت هذه الصفة سلاحًا مِن أسلحة القوة في مقابل الباطل. يقول السعدي: "فأقبل موسى ﷺ غيرَ خائف ولا مرعوب، بل مطمئنًا، واثقًا بخبر ربه، قد ازداد إيمانُه وتم يقينُه، فهذه آية أراه الله إياها قبل ذَهابه إلى فرعون؛ ليكون على يقين تام، فيكون أجرأ له وأقوى وأصلبَ"(٣).

٣- أن نبي الله الكليم ﷺ جاء بدعوة التوحيد لبني إسرائيل، وهو الأمن لهم في الدار الآخرة قبل الدنيا، وقد حصل التمكين والأمن بهلاك فرعون وملكه، وأمة الحمادون لها بقاؤها مع دعوة التوحيد الذي هو سبب الأمان

(١) تفسير ابن كثير، ت: سلامة (٣/٢٩٤).
(٢) التحرير والتنوير (٧/ ٣٣٣).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦١٥).

لها، يقول ابن القيم: "فالتوحيد مِن أقوى أسباب الأمن مِنَ المخاوف، والشركُ مِن أعظم أسباب حصول المخاوف؛ ولذلك مَن خاف شيئًا غير الله سُلط عليه، وكان خوفُه منه هو سبب تسليطه عليه، ولو خاف الله دونه ولم يَخَفْهُ لكان عدم خوفه منه وتوكله على الله مِن أعظم أسباب نجاته منه"(١).

المطلب التاسع: الآيات القرآنية في وصف إجابة الدعوة:

"**إنه قال لموسى:** ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [سورة يونس:٨٩]، **وقال لهذه الأمة:** ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون﴾ [سورة البقرة:١٨٦]"(٢).

أولًا: المعنى الإجمالي:

القارئ لقصة الكليم عليه السلام يقف مع هذه الدعوات التي دعا بها موسى ربَّه، وأَمَّن عليها هارون عليه السلام، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيم﴾ [سورة يونس:٨٨]. وأمة محمد ﷺ موعودة بإجابة الدعوة مِنَ المولى سبحانه، إذا قامت بالدعاء مستجمعة للشروط الشرعية.

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الكليم عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف إجابة الدعاء يتضمن أمورًا، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

١- إجابة دعوة الأنبياء عليهم السلام مِنَ المنَن الربانية التي ينصر الله بها عبادَه المتقين، فمشهد الدعاء في قصص الأنبياء حاضرٌ في حياتهم

(١) مِفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (٢/ ٢٧٣).

(٢) فنون الأفنان (٤٨٤).

وعبادتهم، وسورة «الأنبياء» خيرُ عيان ومصدر برهان لذلك، سواءٌ كانت في مطالبهم الخاصة؛ كالدعاء بطلب الولد أو الصحة أو الغناء أو الملك ونحوه، أو في مطالب الأمة والأقوام التي يعيشون فيها، وهذا المنهج مدرسة لأمة محمد ﷺ في تعظيم أمر الدعاء، والقيام بموجبه في جميع شؤونهم.

٢- أن دعوة موسى عليه السلام وأخيه كانت عصارة لجهاد ومصابرة لأساليب الكفر والفساد في الأرض، والتي قُدّم من خلالها أعظم مقامات الحجج والبراهين على صدق الدعوة وظهور الحق، فجاء هذا الدعاء خاتمةً لتلك المرحلة الصعبة التي عاشها بنو إسرائيل مع فرعون الطاغية؛ مثل ما حصل لنوح عليه السلام مع قومه، والأمة المحمدية تقتفي أثر نبيها في الدعاء على مَن يستوجب الهلاك؛ حيث دعاء: «**اللهم اشددْ وطأتك على مُضرَ، واجعلها عليهم كسني يوسف، اللهم العن لحيانَ، ورِعلًا، وذَكوانَ، وعُصية عصت الله ورسوله**»(١).

٣- أن إجابة دعوة الأنبياء هي إحدى الطرق لقَبول دعوتهم للحق، قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يونس:٨٩]. فتَعَلَّمْ يا عبد الله أسرار الدعاء.

٤- أن مِنَ الخصائص: أن موسى عليه السلام قدَّم دعوته بالدعاء على فرعون وقومه، وأمة محمد امتازت بادخار دعوة النبي لها صلى الله عليه وسلم: «**لكلِّ نبي دعوةٌ قد دعا بها فاستُجِيب، فجعلتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤٦٦) باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة (٦٧٥)، وأصله في البخاري (٤/ ٤٤) باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، دون بعض الزيادات.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٧)، بابٌ: لكل نبي دعوة مستجابة (٦٣٠٤)، ومسلم (١/ =

٥- بيان القرآن لمنهج موسى عليه السلام في بعض دعواته التي كان يدعو بها؛ لتكون منهاجًا وشريعة لأمة محمد يدعون بها، فمِن تلك الدعوات: قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة القصص:٨٦]. وكذلك في دعائه على السامري الذي أضل قومه، فقال: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [سورة طه:٩٧].

المطلب العاشر: الآيات القرآنية في وصف المغفرة:

"**إنه أخبر عن موسى:** ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ [القصص: ١٦]، **وقال لهذه الأمة:** ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر:٥٣]"(١).

أولًا: المعنى الإجمالي:

حديث القرآن عن موسى عليه السلام بعد قتل القبطي الذي أراد دفع ظلمه فوكزه فقضى عليه، فجاء الاعترافُ بالخطأ مِن قتل النفس وطلب المغفرة لذلك، وفُتِح باب التوبة لأمة محمد مِن قِبَل التواب الرحيم سبحانه، ما لم تُغرر الروح، وما لم تطلع الشمس مِن مغربها؛ لِمَا ورد في الأحاديث(٢).

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الكليم عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف المغفرة يتضمن عدة أمور، **يمكن**

=

١٨٨)، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته (١٩٨).

(١) فنون الأفنان (ص ٤٨٤).

(٢) من تلك الأحاديث: قوله ﷺ : «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمسُ مِن مغربها». أخرجه مسلم (٤/ ٢١١٣). وقوله ﷺ: "إن الله تعالى يقبل توبة عبده ما لم يُغَرْغر" خرَّجه أحمد في مسنده (١٠/ ٤٦١)، والترمذي في سننه (٥/ ٤٣٨).

إجمالها فيما يلي:

١- أن الذنوب تقع مِنَ الأنبياء عليهم السلام لكنها في دائرة الصغائر، وما لا يخدش المروءات عندهم. يقول شيخ الإسلام: "ولهذا كان الذي عليه سلف الأمة وأئمتها؛ أن الأنبياء إنما هم معصومون مِنَ الإقرار على الذنوب، وأن الله يستدركهم بالتوبة التي يحبها الله - ﴿ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ - وإن كانت حسنات الأبرار سيئات المقربين. وأن ما صدر منهم مِن ذلك إنما كان لكمال النهاية بالتوبة، لا لنقص البداية بالذنب"(١). فالذنب كما يقع في حق الأنبياء فهو يقع فيمن دونهم مِن أمة محمد، وهذا يدعوها إلى طلب المغفرة في الصغائر والكبائر، والسعي في الأعمال التي تُكَفّر وتُمحَى بها الخطايا والذنوب.

٢- أن مِن هدي موسى عليه السلام ملازمةَ المغفرة في كل عمل يطرأ عليه النقصُ والغلط، فقد طلب المغفرة بعد حادثة العجل التي حصلت في غيابه، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف:١٥١].

يقول شيخ الإسلام: "فالاعتراف بالخطيئة مع التوحيد إن كان متضمنًا للتوبة أوجب المغفرة؛ وإذا غُفر الذنب زالت عقوبته؛ فإن المغفرة هي وقاية شر الذنب"(٢). وهي رسالةٌ لأمة محمد، قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة آل عمران:١٣٣]. يقول الشيخ ابن عثيمين: "وذلك بفعل أسباب المغفرة، ومِن أسباب المغفرة أن تسأل الله المغفرة، تقول: اللهم اغفر لي، أو تقول: أستغفر الله وأتوب إليه، ومِن أسباب المغفرة: فعل ما تكون به المغفرة؛ كقول النبي ﷺ: «**مَن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا؛**

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٤١٥).
(٢) الفتاوى الكبرى (٥/ ٢٧٤).

غفر الله ما تقدم من ذنبه»[١]، وكقول النبي ﷺ فيمن توضأ فأسبغ الوضوء، ثم صلى ركعتين لا يُحَدّث بهما نفسه: «غفر الله بهما ما تقدم من ذنبه»[٢]، وكقوله ﷺ: «**مَن قال: سبحان الله وبحمده، مائة مرة؛ غُفرت خطاياه وإن كانت مثلَ زبد البحر»**[٣]"[٤].

٣- أن موسى ؑ طلب المغفرة لقومه بعد وقوعهم في المخالفة الشرعية، وكذلك هذه الأمة المحمدية تطلب المغفرة لأفرادها في دعواتهم، سواءٌ كانوا أحياءً أو أمواتًا، ولذا كان الدعاء للميت؛ يقول عوف بن مالك رضي الله عنه:سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وصلى على جنازة يقول: «**اللهم اغفر له وارحمه، واعفُ عنه وعافِه، وأكرمْ نزله، ووسع مدخله، واغسله بماء وثلج وبرد، ونَقِّهِ مِنَ الخطايا كما يُنَقَّى الثوب الأبيض مِنَ الدنس، وأبدله دارًا خيرًا مِن داره، وأهلًا خيرًا مِن أهله، وزوجًا خيرًا مِن زوجه، وقِهِ فتنة القبر وعذاب النار**»، قال عوف: فتمنيتُ أن لو كنت أنا الميت؛ لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الميت[٥].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٦)، باب من صام رمضان إيمانا واحتسابا (٣٨)، ومسلم (١/ ٥٢٣)، باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح (٧٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤٣)، باب: الوضوء ثلاثا ثلاثا (١٥٩)، ومسلم (١/ ٢٠٥) باب صفة الوضوء وكماله (٢٢٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٦)، باب فضل التسبيح (٦٤٠٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٧١)، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٦٩١).

(٤) تفسير العثيمين: الحجرات – الحديد (ص: ٤٠٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٣)، باب الدعاء للميت في الصلاة (٩٦٣).

المبحث الثالث

الأوصاف التي شاركت فيها أمة محمد ﷺ محمدًا عليه السلام(١)

تمهيد: محمد رسول الله حياتُه تأريخ أمة كاملة، ؛ جمَع مِنَ الصفات الجليلة ما تعجز عن وصفه الكتب، رسم بحياته معانيَ الحياة الطيبة التي تستمد قوتها مِنَ البارئ، وتنظر إلى الواقع وَفْق القواعد والمقاصد والضروريات التي تركبت منها أصول الشريعة وجزئياتها. إنه النبي الذي قام بجميع وظائف الحياة؛ نبيًّا ومُعَلّمًا وطالبًا ومطلوبًا وكبيرًا وأمينًا وراعيًا ومُبلغًا ونذيرًا؛ هو ذاك الزوج في بيته، والوالد بين أحفاده، والأستاذ بين أصحابه. حياته وأنفاسه سلوك وعملٌ يعمل وَفق منهج ومقصد، شريعته تتوافق مع الفطرة والعقل. رجلٌ يفتح الآفاق لجميع أصحابه وأمته للعمل في وظائف الشريعة كل بحسبه، شريعته جاءت بالتيسير والسماحة.

ومِن كرم الله تعالى بهذه الأمة المحمدية: أنه جعلها خاتمة الأمم، وجعل

---

(١) لفتة: ذكر ابن العربي في كتابه أحكام القرآن: "وقد خص الله رسوله صلى الله عليه وسلم في أحكام الشريعة بمعانٍ لم يشاركه فيها أحدٌ في باب الفرض والتحريم والتحليل؛ مزية على الأمة، وهيبة له، ومرتبة خُص بها؛ ففُرضت عليه أشياءُ وما فرضت على غيره، وحُرّمت عليه أشياء وأفعال لم تحرم عليهم؛ وحُللت له أشياءُ لم تُحلل لهم، منها متفق عليه، ومنها مختلف فيه...

أما قسم الفريضة فجملته تسعة:

الأول: التهجد بالليل...ألخ وأما قسم التحريم فجملته عشرة: الأول: تحريم الزكاة عليه وعلى آله.

وأما قسم التحليل: فالأول: صفي المغنم....

انظر: أحكام القرآن لابن العربي، ط العلمية (٣/ ٥٩٧-٦٠٠).

للمزيد مِنَ الخصائص التي تفرد بها نبينا الخاتم وأمته، يمكن مراجعة بعض الكتب منها: بداية السول في تفضيل الرسول للعز بن عبد السلام، وكتاب الخصائص الكبرى للسيوطي، والذي جمع فيه الخصائص التي اختص بها النبي صلى الله عليه وسلم في حياته بأنه آخر الأنبياء والمرسلين، وخصائص له في الآخرة بأنه صاحب الشفاعة الكبرى والمقام المحمود، وخصائص لأمته في الدنيا مِن إحلال الغنائم لهم دون غيرهم، وخصائص في الآخرة أنهم يأتون يوم القيامة غرًّا محجلين مِن آثار الوضوء، كما ثبت في الأحاديث.

ومن الكتب المعاصرة: خصائص الأمة المحمدية، والتي جمع فيها خصائصَ كثيرة حول هذه الأمة وفضائلها في أبواب العبادات، للسيد محمد علوي المالكي الحسني.

فيها مِنَ الخصائص ما تُميزها عن غيرها، مِنَ الاجتماع على الحق ونبذ الفرقة والابتداع في الدين، وجعلها أول مَن يدخلون الجنة، وكذلك جعلها سبحانه شطر الأمم دخولًا للجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أمَا ترضَوْن أن تكونوا ربع أهل الجنة؟**» قال: فكبرنا، ثم قال: «**أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟**» قال: فكبرنا، ثم قال: «**إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض**»(١). ويُسَمّون الحمادون، يقول ابن القيم: "وأمته الحمادون؛ يحمدون الله على السراء والضراء"(٢).

وتحته عشرة مطالب:

المطلب الأول: الآيات القرآنية في وصف نفي الحرج.

"**فإنه قال في حقه:** ﴿مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [سورة الأحزاب:٣٨]، **وقال لأمته:** ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج:٧٨]"(٣).

أولًا: المعنى الإجمالي:

يقول ابن عطية: "هذه مخاطبة مِنَ الله تعالى لجميع الأمة، أعلمهم أنه لا حرج على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نيل ما فرض الله له، وأباحه مِن تزويج زينب بنت جحش بعد زيد، ثم أعلم أن هذا ونحوه هو السنن الأقدم في الأنبياء مِن أن ينالوا ما أحل الله لهم"(٤). ويقول الطبري في حق أمة محمد: "وما جعل عليكم ربكم في الدين الذي تعبَّدكم به مِن ضيق، لا مخرج

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٠)، باب قوله عز وجل: {إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيم} (٦٥٣٠)، ومسلم (١/٢٠٠)، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (٢٢١).

(٢) جلاء الأفهام (ص: ١٧٨).

(٣) فنون الأفنان (٤٨٤).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٨٧).

لكم مما ابتُلِيتم به فيه، بل وسَّع عليكم، فجعل التوبة مِن بعض مخرجًا، والكفَّارة من بعض، والقصاص مِن بعض، فلا ذنبَ يذنب المؤمن إلا وله منه في دين الإسلام مخرج"(١). فلُبَاب الكلام أن الله رفع عن نبيه الحرج في نكاحه لامرأة زيد بن حارثة ليقطع صلات الأبوة بينهما، ولِيَضع موازين الشرع فوق موازين الجاهلية الأولى.

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخاتم ﷺ وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف نفي الحرج يتضمن عدة أمور، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن الحكم الشرعي الخاص بالنبي ﷺ هو حكم رباني مِنَ الله تعالى، فليس لأحد مِنَ الأمة أن يعترض أو أن يقع في نفسه حرج مِن ذلك؛ فالنبي ﷺ قد خصَّه الله تعالى بأمور أوجبها عليه دون ما سواه، ولذلك أراد أن يرفع الحرج عن أمته في عدم اتباعه فيما خصه الله به؛ كالوصال في الصيام مثلًا، فقد نهى أمته عن ذلك وأمرهم بالفطر عند الغروب، ثم علَّل فعله بقوله: «**لست كهيئتكم؛ إني أظل أُطعَم وأُسقَى**»(٢). فدل ذلك على أن الأصل هو اتفاق التشريع بين النبي ﷺ وأمته في تطبيق الحكم الشرعي، إلا ما دل الدليل على الاختصاص به دون سائر الأمة(٣).

٢- أن الاتفاق في مسألة رفع الحرج عن النبي ﷺ وعن أمته هو أصل عام يتفرّع عنه جزئياتٌ وأحكامٌ ورُخَص شرعية تتوافق مع ضروريات وحاجيّات العبد المسلم، وهذا لا يقتضي المساوة المطلقة بين مقام النبي وبقية أمته في ذلك.

(١) جامع البيان (١٨/ ٦٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣)، باب ما يقتل المحرم من الدواب (١٨٢٨)، ومسلم (٢/ ٨٥٦)، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم (١٢٠٠).

(٣) انظر: المهذب في علم أصول الفقه المقارن (٢/ ٨٣١)، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي (٢/ ٧٤).

٣- أن رفع الحرج عن النبي ﷺ يجعله يعيشُ في محيط البشرية التي تمكنه مِنَ التمتع بغرائزه البشرية والنفسية؛ مِنَ النكاح والمحبة والمأكل والمشرب، وهذا المسلك يجعل سنة الاتباع أقربَ للنفوس مِن طبيعة الملائكية التي تمنع المقتدي مِنَ التمثّل لشخصيته ﷺ.

٤- أن مصطلح (رفع الحرج) لفظٌ يستعمله الشارع في أحكامه، قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون﴾ [سورة المائدة:٦]. وقد جاء ذكرٌ في سنة المختار: "**خمسٌ مِنَ الدواب كلها فاسق (لا حرج) على مَن قتلهن: العقرب، والغراب، والحَدَأة، والفَأرة، والكلب العقور**"[١]، وقال في الحج حين وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته، فطفق ناس يسألونه، فيقول القائل منهم: يا رسول الله، إني لم أكن أشعر أن الرمي قبل النحر، فنحرت قبل الرمي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**فارمِ ولا حرج**»، قال: وطفِق آخرُ يقول: إني لم أشعر أن النحر قبل الحلق، فحلقت قبل أن أنحر، فيقول: «**انحر ولا حرج**» قال: فما سمعته يسأل يومئذٍ عن أمر، ممَّا ينسى المرء ويجهل؛ مِن تقديم بعض الأمور قبل بعض وأشباهها، إلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**افعلوا ذلك، ولا حرج**»[٢].

فهذا اللطف في التعبير فيه إيماء إلى تقريب العباد إلى ربهم، وتحبيبهم إلى الطاعة بأقلِّ الكلفة، وهذا منهج رباني تربوي تعليمي لمن فقه دين الله في التعليم والفتوى.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٧٣)، باب الذبح قبل الحلق (١٧٢٢)، ومسلم (٢/ ٩٥٠)، باب مَن حلق قبل النحر (١٣٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٩٤٨)، باب مَن حلق قبل النحر (١٣٠٦).

المطلب الثاني: الآيات القرآنية في وصف المغفرة:

"**إنه قال في حقه:** ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [سورة الفتح:٢]، **وقال لأمته:** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران:٣١]"(١).

أولًا: المعنى الإجمالي:

يقول ابن كثير: "هذا مِن خصائصه -صلوات الله وسلامه عليه- التي لا يشاركه فيها غيره، وليس صحيح في ثواب الأعمال لغيره غفر له ما تقدم مِن ذنبه وما تأخَّر. وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو -صلوات الله وسلامه عليه- في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا مِن الأولين ولا مِنَ الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة"(٢). وقال في حق أمة الإجابة: "فمَنِ اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدَّده في جميع حركاته وسكناته"(٣). فثبت بذلك خصوصية المغفرة المطلقة للنبي ﷺ، ونالت الأمة المغفرة بشفاعته واتباع نهجِه القويم.

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخاتم ﷺ وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف المغفرة يتضمن عدة أمور، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن مغفرة الذنب للنبي ﷺ لِمَا تقدّم مِن ذنبه وما تأخر؛ ليس مبررًا لأفراد الأمة المحمدية مخالفة هديه وتجاوز سنته؛ بمثل هذه الحجة الواهية

(١) فنون الأفنان (٤٨٤)، رسالة أسباب المغفرة لابن رجب الحنبلي (٤٨٤).
(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٨) .
(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٢٨).

والرأي الفطير، فالمغفرة هي باب للرجوع إلى عتبات العبودية، ولست سُلمًا لفجور العبد وطغيانه.

٢- أن صفة المغفرة للنبي الخاتم ﷺ جعلته يزيد مِن مسابقته للخير والبر والإحسان، وليست متكأً للضعف وترك العمل، وهذا دافع في حق أمته أن تزيد مِن الطاعات وعمل الصالحات، حتى لو ظنت في نفسها خيرًا. ففي «الصحيحين» عن النبي ﷺ، أنه قام حتى تَوَرَّمت قدماه. فقيل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم مِن ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟**»(١).

يقول ابن عاشور: "فلما كان الفتح حاصلًا بسعيه وتسببه بتيسير الله له ذلك؛ جعل الله جزاءه غفرانَ ذنوبه بعِظَم أثر ذلك الفتح؛ بإزاحة الشرك وعلو كلمة الله تعالى، وتكميل النفوس وتزكيتها بالإيمان وصالح الأعمال، حتى ينتشر الخير بانتشار الدين، ويصير الصلاح خُلقًا للناس يقتدي فيه بعضهم ببعض، وكل هذا إنما يُناسب فتح مكة، وهذا هو ما تضمنته"(٢).

٣- أن الاستغفار عبادةٌ ترفع العبد في درجاته، وتزيل عنه مواضع الزلل والتقصير، وكان مِن هدي النبي الخاتم ﷺ أن يُعَلّم أصحابه صيغ الاستغفار، سواءٌ كان في خاصة نفسه أو **كانت عامة**، يقول صلى الله عليه وسلم: «**والله، إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر مِن سبعين مرة**»(٣)، ومما كنا يعلمه أصحابه، سؤال الصديق أن يعلمه دعاء يدعو به في صلاته، فقال: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا**

(١) تفسير ابن كثير، ت: سلامة (٧/ ٣٢٨) .
(٢) التحرير والتنوير (٢٦/ ١٤٦).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٠)، باب قيام النبي ﷺ الليل (١١٣٠)، ومسلم (٤/ ٢١٧١)، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (٢٨١٩).

يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة مِن عندك وارحمني؛ إنك أنت الغفور الرحيم»[١].

وقد ذكر ابن رجب في كتابه «أسباب المغفرة» أن أحد الأسباب العظمى: هو الاستغفار والدعاء مع الرجاء والتوحيد[٢].

٤- أن باب الاستغفار منهج في سلوك العبد يتَمَثّله بعد انقضاء العبادة؛ لِتَجبر نقص التقصير، فصلاته تنقضي بالاستغفار، وصلاة الليل تُختم بالاستغفار، وكذلك الحج، فكان الاستغفار مرتبةً في استكمال نقص العبادة، وهو أيضًا بابٌ لدفع المعصية.

المطلب الثالث: الآيات القرآنية في وصف إتمام النعمة:

"**إنه قال له:** ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [سورة الفتح:٢]، **وقال لأمته:** ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [سورة المائدة:٣]"[٣].

أولًا: المعنى الإجمالي:

يقول الشوكاني: "بإظهار دينك على الدين كله، وقيل: بالجنة، وقيل: بالنبوة والحكمة، وقيل: بفتح مكة والطائف وخيبر، والأَوْلى أن يكون المعنى: ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية إلى صراط مستقيم، وهو الإسلام"[٤]. وقال في أمة الرسالة: "أي أتممتها بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين، وهدم منار الجاهلية ومناسكها، والنهي عن حج المشرك وطواف العريان، أو بإكمال الدين والشرائع، أو بالهداية والتوفيق"[٥]. فيتجلَّى للقارئ أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٦٦)، باب الدعاء قبل السلام (٨٣٤).

(٢) أسباب المغفرة، لابن رجب الحنبلي (٤٨٤).

(٣) فنون الأفنان (٤٨٤).

(٤) فتح القدير (٥/ ٥٤).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/ ٧). وهناك رسالة: " كمال الدين الإسلامي"، للشيخ عبد الله بن جار الله آل جار الله، تعرض فيها لأبرز المميزات والمقاصد في كمال الدين الإسلامي.

تمام النعمة في العهد المدني هو نتاج لدعوة كان منشؤها العهد المكي بجميع إرهاصاته.

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخاتم ﷺ وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف إتمام النعمة يتضمن عدة أمور، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن تمام النعمة هو تكليف الرحمن النذير العريان ﷺ القيامَ بمسؤولية الدعوة على أكمل وأتم الأحوال؛ بنقل الشريعة والذب عنها بكل صورها الدعوية باللسان والسنان؛ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة:٦٧]، وهي دعوة لأمة الإجابة بأن تقوم بهذا الدور المستوجب للفهم التام لكليات الشريعة ومقاصدها.

٢- أن مِن تمام النعمة على هذا النبي الخاتم؛ أن تكون هي الرسالة المهيمنة على جميع الشرائع السماوية، وهذا يدعو آحاد الأمة بأن يقوموا بأعمالهم الفردية والمؤسسية لنشر الدين والرسوخ في تعاليمه، ولا ينظروا في الشرائع السماوية المنسوخة، فهذا عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه مِن بعض أهل الكتاب، فقال: يا رسول الله، إني أصبت كتابًا حسنًا مِن بعض أهل الكتاب، قال: فغضب، وقال: «**أمتهوكون فيها يا بن الخطاب، والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتُكَذِّبُوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو كان موسى حيا اليوم ما وسعه إلا أن يتَّبِعني**»(١).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/٣٨٧)، والدارمي (١/١١٥٩)، وفي سنده مجالدُ بن سعيد الهمداني، وهو ضعيف. وقوله: (أمتهوكون)؛ أي: أمتحيرون في دينكم حتى تأخذوا العلم من غير كتابكم ونبيكم". انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٦٣).

٣- أن تمام النعمة على هذا النبي الأمي أنه قام بإبلاغ الرسالة ونشرها في الجزيرة العربية طيلة حياته الدعوية، ثم انتشرت هذه النعمة في أقطار بلاد العالم، حتى دخلت مشارق الأرض ومغاربها، وقد بشَّر بذلك النبي صحابته فقال: صلى الله عليه وسلم: "**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ مُلْكها ما زُوي لي منها، وأُعطيتُ الكَنْزين الأحمر والأبيض...**" إلخ(١).

٤- أن تمام النعمة برهان قاطع على حقيقة هذا الدين بقيادته البشريةَ جميعًا، فالنبي المختار ﷺ بدأت رسالته في تقرير العقيدة ثم الأحكام والآداب والأخلاق لتشمل جميع وظائف الحياة. قال يهودي لسلمان الفارسي: قد علمكم نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة، قال: فقال: "أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط، أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم"(٢).

المطلب الرابع: الآيات القرآنية في وصف الهداية للصراط المستقيم:

"**إنه قال له:** ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [سورة الفتح:٢]، **وقال لأمته:** ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ **[سورة الحج:٥٤]**"(٣).

أولًا: المعنى الإجمالي:

هذه الخَصلة الثالثة من آية «الفتح» في حق نبيِّنا ﷺ. يقول ابن

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢١٥)، باب هلاك هذه الأمة بعضها ببعض (٢٨٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٣)، باب الاستطابة(٢٦٢).

(٣) فنون الأفنان (٤٨٤). تنبيه: قوله تعالى: {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} هم أصحاب محمدٍ رسولِ الله عليه السلام، والضمير في أنه عائد على القرآن {أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [سورة الحج:٥٤]. انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٢٩).

عاشور: "يزيدك هديًا لم يُسبق؛ وذلك بالتوسيع في بيان الشريعة، والتعريف بما لم يُسبق تعريفُه به منها، فالهداية إلى الصراط المستقيم ثابتة للنبيء صلى الله عليه وسلم مِن وقت بعثته، ولكنها تزداد بزيادة بيان الشريعة وبسَعة بلاد الإسلام وكثرة المسلمين؛ مما يدعو إلى سلوك طرائق كثيرة في إرشادهم وسياستهم وحماية أوطانهم ودفع أعدائهم، فهذه الهداية مُتَجَمِّعَة مِنَ الثبات على ما سبق هديه إليه، ومِنَ الهداية إلى ما لم يُسبق إليه، وكل ذلك مِنَ الهداية"(١). وفي حق أمة التوكل؛ "أي: إلى طريق الحق والاستقامة، فلا تَزِلّ أقدامهم بقَبول ما يُلقي الشيطان، ولا تقبل قلوبُهم إلا ما يُلقي الرحمن؛ لصفائها"(٢). فجماعُ الأمر أن الهداية التي نالها خير البشر ﷺ هي النواة الأولى التي خرجت منها معالم الهداية لأمة محمد ومَن جاء بعدهم.

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخاتم ﷺ وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف الهداية للصراط المستقيم يتضمن عدة أمور، **يُمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن الدعوة الأولى التي قام عليها القرآن الكريم هو الدعوة إلى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم﴾ [سورة الفاتحة:٦]، وهذه الدعوة هي الأساس الذي قامت عليه الشرائع، وأُرسلت به الرسل، وأُنْزلت مِن أجله الزُّبُر، فمحمد الأمين ﷺ هو حامل لواء الدعوة بالوحي والقرآن والمنهج، وأمته هي مَيْدان العمل بهذه الدعوة المستقيمة.

٢- الدعوة إلى الصراط المستقيم هي منهج الوسطية والخيرية التي تجمع بين العلم والعمل، فالتطرف في جانب العلم دون العمل هو دَيْدن اليهود

(١) التحرير والتنوير (٢٦/ ١٤٨).
(٢) محاسن التأويل (٧/ ٢٥٥).

المغضوب عليهم، والغلو في العمل بدون علم هو ديدن النصارى الضالين.

٣- القرآن في جملة سياقاته يُبين حقيقة قائمة وخالدة؛ وهي أن الدَّلالة على طريق الهداية والصراط المستقيم هي هبة ربانية، قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [سورة الضحى:٧]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى:٥٢]. "فعُلِم أنه ليس أعظم ضرورة منه إلى سؤال الهداية أصلها وتفصيلها؛ علمًا وعملًا، والتثبيت عليها والدوام إلى الممات. وسر ذلك أن العبد مفتقرٌ إلى الهداية في كل نَفَس في جميع ما يأتيه ويذره، أصلًا وتفصيلًا وتثبيتًا؛ ومفتقر إلى مزيد العلم بالهدى على الدوام"(١).

٤- أن النذير العريان ﷺ لا يملك هداية البشرية هداية توفيق وسداد، إنما هداية دَلالة وإرشاد، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة القصص:٥٦]؛ فإنه مع عمه أبي طالب الذي كان يحوطه ويحميه لم يستطع هدايته، فقد قال ﷺ: "**يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمةً أشهد لك بها عند الله**"(٢). وهذا منهج للدعاة والعلماء في بيان الطريق والتحذير مِن مزالقه، وقصة إبراهيم الخليل مع أبيه، ونوح مع ابنه ليس عنا ببعيد.

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٥)، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله (١٣٦٠)، ومسلم (١/ ٥٤)، باب أول الإيمان قول: لا إله إلا الله (٢٤).

المطلب الخامس: الآيات القرآنية في وصف النصرة الربانية:

"**إنه قال له:** ﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [سورة الفتح:٣]، **وقال لأمته:** ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الروم:٤٧]"(١).

أولًا: المعنى الإجمالي:

الخَصْلة الرابعة مِن آية الفتح، وهي البشارة بالنصر المبين على الأعداء، يقول السعدي: "﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ :أي قويًّا لا يتضعضع فيه الإسلام، بل يحصل الانتصار التام، وقمع الكافرين، وذلهم ونقصهم، مع توفر قوى المسلمين ونموهم ونمو أموالهم"(٢). وقال في أمة الأميين: "تبشير للرسول وأمته بالنصر والظفر؛ إذ أخبر أن المؤمنين بأولئك المؤمنين نُصروا، وفي لفظ: ﴿حَقًّا﴾ مبالغةٌ في التحتم، وتكريمٌ للمؤمنين، وإظهارٌ لفضيلة سابقة الإيمان؛ حيث جعلهم مستحقين النصر والظفر"(٣). فحقيقة النصر قضية مشتركة بين نبي الملحمة ﷺ وأمته عبر التأريخ، والتأريخ شاهد بالنصر المبين لهذه الأمة، مِن خلال تأريخ خلفائها ودولاتها وحضارتها المتفرقة في أصقاع البلدان.

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخاتم ﷺ وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف النصرة الربانية يتضمن عدة أمور، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

١- الصراع بين الحق والباطل هو صراع أبديٌّ حتى قيام الساعة، فالأنبياء عليهم السلام هم مصدر الحق، ومنبع النور للبشرية، والشيطان وحزبه مِن أهل الكفر والغواية هم فريق الباطل، فالنصر هو غاية يبحث عنها

---

(١) فنون الأفنان (ص ٤٨٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٩١).

(٣) البحر المحيط في التفسير (٨/ ٣٩٨).

الفريقان، وشتان بين النصر الحقيقي للباطل والنصر الزبدي لأهل الباطل؛ فالنصر لأهل الإيمان متى ما تحققت موجباته تحقق النصر والفتح المبين، فالنصر المحمدي بدأ مع بداية دعوته بمكة؛ لأن انتصار العقيدة قبل انتصار الأبدان، والأمة تابعة له في ذلك.

٢- أن مِن أبعاد النصر لأمة محمد؛ أن ينتصر أهل الملة الكتابية على غيرهم مِنَ المشركين والمجوس، ولذا نزلت مطلع سورة «الروم» تحقيقًا لهذا الشأن، وقد راهن أبو بكر الصديق رضي الله عنه قريشًا على ذلك(١)، قال تعالى: {ﲁ ﲂ} [سورة الروم:٢]، فالنصر لأمة كتابية كالنصارى على أهل الوثنية كالمجوس الفرس هو انتصارٌ للعقيدة السماوية، وإن كانت أصابها التبديل والتحريف مِن أتباعها.

٣- أن مما يُعلم أن النفوس جبلت على حب الانتصار والعلو في النزال والمنزلة، فالنصر في جميع المواضع القرآنية مشروطٌ بإذن الله تعالى؛ ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [سورة آل عمران:١٢٦]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج:٤٠]. وهذا يدفع بأمة الإسلام إلى القيام بدورها في الإعداد وأخذ القوة الإيمانية والجسدية والقراءة الصحيحة للسنن الكونية، ودراسة مصادر القوة والضعف، والسيرة المحمدية مليئةٌ بالدروس والعبر لمثل هذه الطرائق التي تفتح الآفاق لأبناء الأمة.

٤- أن حقائق النصر الواهية عند الأعداء وضعاف النفوس هي مسألة القوة الحديدية التي تُهلك الحرث والنسل، والنصر المحمدي هو نصر يدفع الناس للدخول في دين الله أفواجًا، النصر الحقيقي إنما هو وسيلة

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٨/١٤٠)، والترمذي وقال عنه: "هذا حديث حسن" سنن الترمذي، ت شاكر (٥/ ٣٤٤).

للمدافعة التي تفتح الآفاق أمام الخلائق أن يُوحدوا الله، وليس النصر هو استعبادًا للبشرية، وإزهاقًا للأرواح والدماء، كما هي لغة الأعداء في كل زمان ومكان.

المطلب السادس: الآيات القرآنية في وصف التثبيت:

"**إنه قال له:** ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا﴾ **[سورة الإسراء:٧٤]، وقال لأمته:** ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء﴾ [سورة إبراهيم:٢٧]"[١].

أولًا: المعنى الإجمالي:

والتثبيت: "جعل الشيء ثابتًا؛ أي: مُتمكنًا مِن مكانه غير مقلقل ولا مقلوع، وهو مستعار للبقاء على حاله غير متغير"[٢]. والمعنى: "على ما أنت عليه مِنَ الحق بعصمتنا لك؛ ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا﴾؛ مِنَ الركون الذي هو أدنى ميل؛ أي: لولا تثبيتنا لك لقاربت أن تميل إليهم شيئًا يسيرًا مِنَ الميل اليسير؛ لقوة خداعهم وشدة احتيالهم، لكن أدركتك العصمةُ فنمنعك مِن أن تقرَب مِن أدنى مراتب الركون إليهم، فضلًا عن نفس الركون، وهذا صريح في أنه صلى الله عليه وسلم ما هَمَّ بإجابتهم مع قوة الداعي إليها، ودليل على أن العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته"[٣].

وقال في خير الأمم: "قال ابن عباس: يريد الذين صدّقوا محمدًا صلى الله عليه وسلم يثبتهم بالقول الثابت، وهو (لا إله إلا الله)، وهذا دليل على أنه أراد بالكلمة الطيبة: كلمة الإخلاص؛ لأنه بعدما شبهها بالشجرة الطيبة التي لها أصل ثابت، سمّاها القولَ الثابتَ". وقوله تعالى: {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، قال

(١) فنون الأفنان (٤٨٤).
(٢) التحرير والتنوير (١٥/ ١٧٤) .
(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ١٨٨).

المفسرون: يثبتهم بـ: (لا إله إلا الله) في الحياة الدنيا على الحق والتمسك بالعُرَى، وإذا ثبتهم بها في الدنيا ثبتهم في الآخرة"[١].

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخاتم ﵇ وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف التثبيت يتضمن أمورًا، **يُمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن التثبيت مصدره التلقي الصحيح القائم على الفهم والعمل، فالنبي الخاتم ﷺ جاءت دعوته مناكفة لدعوة المشركين والثبات على الحق، فلا وجه لأَنْ يختلط الحق بالباطل، أو أن يجتمعا في وعاء واحد، وأمة الأُمّيّين على هذا الطريق سائرون.

يقول القاسمي: "القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه، وتَمَكّن فيه فاعتقده واطمأنت إليه نفسه. وتثبيتهم به في الدنيا؛ أنهم إذا فُتنوا في دينهم لم يَزِلُّوا، كما ثبت أصحاب الأخدود والذين نُشروا بالمناشير ومُشطت لحومهم بأمشاط الحديد. وتثبيتهم في الآخرة؛ أنهم إذا سُئِلوا عند تواقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم؛ لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر"[٢].

٢- أن إبراز القصص القرآني في حياة اللبنة المباركة ﷺ هو سبيل للثبات والبقاء على المنهج، سواءٌ كان هذا القصص بحق الأنبياء أو الأصفياء؛ كقصة أصحاب الأخدود أو فتية الكهف.

٣- عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن قلوبَ بني آدم كلها بين إصبعين مِن أصابع الرحمن، كقلب واحد، يُصرّفه حيث يشاء**»، ثم قال رسول الله صلى الله

(١) التفسير البسيط (١٢/ ٤٧٢).
(٢) محاسن التأويل (٦/ ٣١٥).

عليه وسلم: «**اللهم مصرف القلوب صَرِّف قلوبنا على طاعتك**»[1]. وهذا الدعاء منهج نبوي يطلبه العبد مِن ربِّه طيلة حياته، فإن مدارك الغفلة ومزالق الطريق لا تُحصر، وقد تخفى.

٤- أن مسألة الركون إلى الأعداء أو محاولة القرب منهم، هو مستنقع وهاوية في طريق الأمة، فلا يمكن أن يُجعل الحق في مدارج الكفر أو أهل الإشراك، فالقرآن يعرض وقائع الأمور كيف يمكن أن تقع؛ ليتصور الذهن أن في الإمكان وقوعَها مع ذكر العلة في امتناع وقوعها وهو الثبات، "لكنْ أدركتك العصمة، فنمنعك مِن أن تقْرَب مِن أدنى مراتب الركون إليهم، فضلًا عن نفس الركون، وهذا صريح في أنه صلى الله عليه وسلم ما هَمَّ بإجابتهم مع قوة الداعي إليها، ودليل على أن العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته"[2].

المطلب السابع: الآيات القرآنية في وصف الرضا الرباني:

"**إنه قال له:** ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ **[سورة الضحى:٥]، وقال لأمته:** ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيم﴾ **[سورة الحج:٥٩]**"[3].

أولًا: المعنى الإجمالي:

العطاء للنبي هو: "في الدار الآخرة؛ يُعطيه حتى يرضيه في أمته، وفيما أعده له مِنَ الكرامة، ومِن جملته: نهر الكوثر الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، وطينُه مِن مسكٍ أذفرَ"[4]، وقال في أمة الأُمّيّين: "وفي هذا مِنَ الامتنان عليهم والتبشير لهم ما لا يقادر قدره، فإن المدخل الذي يرضَوْنه هو الأوفق لنفوسهم والأقرب إلى مطلبهم، على أنهم يرَوْن في الجنة ما لا عين

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٤٥)، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (٣٦٥٤).
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥/ ١٨٨).
(٣) فنون الأفنان (٤٨٤).
(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٥).

رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[١]؛ وذلك هو الذي يرضَوْنه وفوق الرضا"[٢].

يقول ابن القيم: "فلم تكن الدنيا لتُرْضِيه وهو لا يرضاها كلها لأمته وهو يحذر منها، وتُعرض عليه فيأباها، وإنما هو ما يعطيه مِنَ الثواب وما يُفتح عليه وعلى أمته مِن مُلك كسرى وقيصر، ودخول الناس في الإسلام، وظهور الدين إذا كان ذلك محبته ورضاه، صلوات الله وسلامه عليه"[٣].

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخاتم ﷺ وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف الرضا الرباني يتضمن عدة أمور، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن حقيقة الرضا والعطاء الإلهي عطاء سرمدي لا ينقطع، يقول ابن عاشور: "أن هذا العطاء الموعود به مستمر لا ينقطع، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة يوسف:٩٨]، وقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [سورة الليل:٢١]... وحذف المفعول الثاني لـ ﴿يُعْطِيكَ﴾؛ ليعم كل ما يرجوه صلى الله عليه وسلم مِن خير لنفسه ولأمته، فكان مفاد هذه الجملة تعميم العطاء، كما أفادت الجملة قبلها تعميم الأزمنة"[٤]. والله عز وجل يُعطي العبد فوق ما يطلبه، ويمد له الرزق فوق ما يتوقع؛ لأن فضل الله إذا دخل بالعباد فلا مانع لما يُعطي ولا مُعطي لما منع.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١١٨)، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٤)، ومسلم (٤/ ٢١٧٤)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٤).

(٢) فتح القدير (٣/ ٥٤٩).

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص ٢٦٣).

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٩٨).

٢- أن محاولة التعريف بالمفهوم المحدد مِن الآية قد تتقاصر العقول والأفهام دونه، فلفظ الآية أكبرُ مِنَ المعنى الذي يُراد التعبير حوله، يقول السعدي: "وهذا أمر لا يمكن التعبير عنه بغير هذه العبارة الجامعة الشاملة"(١). فالأمة إذا عرفتْ حقائق هذا الرضا الرباني، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنِ التمس رضاء الله بسخط الناس؛ كفاه الله مؤنة الناس. ومَنِ التمس رضاء الناس بسخط الله؛ وَكَلَه الله إلى الناس**»(٢).

٣- أن هذا العطاء الإلهي يتضمن جملةً مِنَ الهبات والعطايا؛ مِنْ أَجلِّها شفاعةُ النبي لأمته، وهذا عطاء الآخرة؛ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥].

عن عبد الله بن عباس، في قوله: ﴿ولَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى﴾، قال: "رضاه أن يُدْخِل أُمّته كلّهم الجنة"(٣). وهناك عطاء الدنيا بما يفتح الله على رسوله وعلى عباده الصادقين؛ مِن فتح مكة وغيرِها مِن بلاد المسلمين، يقول السعدي: "﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ﴾ إما ما يفتحه الله عليهم من البلدان، خصوصًا فتحَ مكة المشرفة؛ فإنهم دخلوها في حالة الرضا والسرور، وإما المراد به رزق الآخرة، وأن ذلك دخول الجنة، فتكون الآية جمعت بين الرزقين؛ رزق الدنيا، ورزق الآخرة، واللفظ صالح لذلك كله، والمعنى صحيح، فلا مانع مِنْ إرادة الجميع"(٤).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٢٨).
(٢) سنن الترمذي، ت: بشار (٤/ ١٨٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٠٥٢).
(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٤٤٥).
(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٤٣).

المطلب الثامن: الآيات القرآنية في وصف انشراح الصدر:

"**إنه قال له:** ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [سورة الشرح:١]، **وقال لأمته:** ﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾ [سورة الأنعام:١٢٥]"(١).

أولًا: المعنى الإجمالي:

الشرح حقيقته: "يُطلق على انفعال النفس بالرضا بالحال المتلبس بها"(٢). فنعمة انشراح الصدر مِنَ الأعطيات الربانية على نبيِّه الخاتم ﷺ، "وقيل: المعنى: ألم نُزِل هَمّك وغمّك بإطلاعك على حقائق الأمور وحقارة الدنيا، فهان عليك احتمال المكاره في الدعاء إلى الله تعالى. ونقل عن الجمهور أن المعنى: ألم نفسحه بالحكمة وتوسعه بتيسيرنا لك؛ تُلقي ما يوحَى إليك بعدما كان يشق عليك"(٣). وقال في حق الأُمّيّين: "فمعنى (يشرح صدره): يجعل لنفسه وعقله استعدادًا وقَبولًا لتحصيل الإسلام، ويُوَطّنه لذلك حتى يسكن إليه ويرضى به، فلذلك يُشبه بالشرح"(٤).

ثانيا: أوجه الاشتراك بين صفات الخاتم عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف انشراح الصدر تضمن عدة أمور، **يُمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن انشراح صدر النبي الخاتم له أثرٌ كبير في دعوته، وفي سَعة قَبوله لأطياف الناس بشتى أديانهم وأجناسهم وعاداتهم، وهذا يدعو أمة الوسطية للاتصاف بهذه الصفة الشريفة، والتي تدفع بأفرادها إلى مواجهة

---

(١) فنون الأفنان (ص ٤٨٤). تعليق: والذي يظهر أن آية «الأنعام» ليست خاصة بأمة محمد، بل كونها عامةً هو الأقرب لذلك؛ فإن كل مَن كُتب له الإيمان انشرح صدره لذلك.

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٠٨).

(٣) روح المعاني (١٥/ ٣٨٦).

(٤) التحرير والتنوير (٨-أ/ ٥٨).

التحديات والعقبات التي تتطلب نوعًا مِنَ الحكمة والرَوِيّة في تقَبُّل أوضاع الناس، وتحمل أذاهم في سبيل دعوتهم للحق.

٢- أن انشراح الصدر لسيد ولد آدمَ هو طريق ومنهجٌ شرعي تندرج تحته الأحكام والحِكَم والغايات، يقول ابن كثير: "وكما شرح الله صدره، كذلك جعل شرعه فسيحًا واسعًا سمحًا سهلًا، لا حرج فيه ولا إصرَ ولا ضيق"(١).

٣- أن الصدر هو مناط القَبول للواردات من الأقوال والأفعال والتعامل معها، ولذا جاءت المنة بانشراح الصدر، يقول الشوكاني: "قد شرَحْنا لك صدرك، وإنما خص الصدر؛ لأنه محل أحوال النفس مِنَ العلوم والإدراكات، والمراد الامتنان عليه صلى الله عليه وسلم بفتح صدره وتوسيعه حتى قام بما قال به مِنَ الدعوة، وقدر على ما قدر عليه مِن حمل أعباء النبوة وحفظ الوحي"(٢). فانشراح الصدر لآحاد الأمة هو مِفْتاحٌ مِن مفاتيح الفهم والإدراك والعطاء والتقبل للأخرين أخلاقهم من حسن وقبيح.

٤- أن انشراح الصدر لا يخلو مِن أمرين: إما أن يُراد به ما حصل للمصطفى مِن شق صدره، كما ثبت ذلك عن أنس بن مالك، "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست مِن ذهب بماء زمزم، ثم لَأَمَه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعَوْن إلى أمه –

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٩).
(٢) فتح القدير (٥/ ٥٦٢).

يعني: ظئره – فقالوا: إن محمدًا قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون"، قال أنس: "وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره"(١). وهذا شرح بدني(٢).

وأما أن يكون المراد انشراح الصدر المعنوي، وهذا أبلغُ في تحصيل المنافع ودفع المساوئ، يقول الشنقيطي: "وقيل: شرح الصدر إنما هو توسيعه للمعرفة والإيمان ومعرفة الحق، وجعل قلبه وعاء للحكمة....والذي يظهر – والله تعالى أعلم -: أن شرح الصدر الممتن به عليه صلى الله عليه وسلم أوسعُ وأعمُّ من ذلك، حتى إنه ليشمل صبره وصفحه وعفوه عن أعدائه، ومقابلته الإساءة بالإحسان، حتى إنه ليسع العدو كما يسع الصديق... وفي هذا – كما قدمنا – توجيهٌ لكل داعية إلى الله، أن يكون رحبَ الصدر، هادئَ النفس، متجملًا بالصبر"(٣). فلا تنافي بين المعنيين، سواءٌ كان حسيًّا أو معنويًّا، وهذا يدعو دعاة أمة الوسطية لتعلم الأساليب والطرق التي تطلب منها موارد انشراح الصدر والتؤدة والحكمة، حتى تقوم الدعوة على أصولها وتُؤتي أكُلها كل حين بإذن ربها.

المطلب التاسع: الآيات القرآنية في وصف الأجر غير الممنون:

"**إنه قال له:** ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [سورة القلم:٣]، **وقال لأمته:** ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [سورة التين:٦]"(٤).

أولًا: المعنى الإجمالي:

هذه الآية مِن خصائص النبي الخاتم، يقول الشوكاني: "﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾؛ أي: ثوابًا على ما تحَمَّلْتَ مِن أثقال النبوة، وقاسَيْت مِن أنواع الشدائد

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٤٧)، باب الإسراء برسول الله (١٦٢).
(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٠٩).
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨/ ٥٧٥).
(٤) فنون الأفنان (٤٨٤).

﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾؛ أي: غير مقطوع، يُقال: مَنَنْتُ الحبل: إذا قطعتَه"(١). وكذلك جاء في حق أمة التوحيد مثل هذه الفضيلة والامتياز.

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخاتم ﷺ وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف الأجر غير الممنون يتضمن أمورًا، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن حقيقة المجازاة بالأجر والمثوبة بحسب متعلقات تلك المجازة التي لا تنقطع، ولا يلحقها مَنٌّ ولا أذًى ولا كدر أو مذلة.

٢- أن المجازاة الربانية لنبيِّنا الكريم ﷺ ولأمته ليس في مقابلة العمل الذي يقومون به في حياتهم، إنما هو كرم وعطاء لا يوازيه عطاء دنيوي. كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قوله: "**إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم مِنَ الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أُوتِي أهل التوراة التوراة، فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا، فأُعطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أُوتي أهلُ الإنجيل الإنجيل، فعملوا إلى صلاة العصر، ثم عجزوا، فأُعطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أُوتينا القرآن، فعملنا إلى غروب الشمس، فأُعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتابين: أيْ ربَّنا، أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين، وأعطيتنا قيراطًا قيراطًا، ونحن كنا أكثر عملًا؟ قال: قال الله عز وجل: هل ظلمتكم مِن أجركم مِن شيء؟ قالوا: لا، قال: فهو فضلي أوتيه مَن أشاء**"(٢).

٣- أن استشعار الأجر والمثوبة عند الله تعالى يرفع العبد عن ثناء الناس وشكرهم، قال تعالى: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾، فالأعمال الصالحة مرتبطة بأجور يسعى العبد بطلبها ونيل ثوابها،

(١) فتح القدير (٥/ ٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١١٦)، باب مَن أدرك ركعة من العصر قبل الغروب (٥٥٧).

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية كثيرةٌ في هذا الباب، فمِن ذلك: قولُه تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٧٤]. وقوله صلى الله عليه وسلم: «**مَن بنى مسجدًا لله تعالى** – قال بكير: حسبت أنه قال: **يبتغي به وجه الله – بنى الله له بيتًا في الجنة**». وقال ابن عيسى في روايته: «**مثله في الجنة**»[1]، وغيرُها مِنَ الأعمال التي جاءت بالترغيب للعمل الصالح.

المطلب العاشر: الآيات القرآنية في وصف الشهادة على الأمم:

"**إنه قال له:** ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيدًا﴾ [سورة النساء:٤١]، **وقال لأمته:** ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ [سورة البقرة:١٤٣]"[2].

أولًا: المعنى الإجمالي:

هذه الآية فيها شهادة كل نبي على أمته، وشهادة نبينا صلى الله عليه وسلم على أمته؛ "**يعني:** كيف تكون الحال إذا جئنا مِن كل أمة بشهيد! وذلك يوم القيامة؛ يأتي الله تعالى مِن كل أمة بشهيد، والشهيد هو الرسول؛ يشهد على أمته بأنه بلّغ رسالة ربه، هذا شهيدُ كل أمة، وهناك شهادة عامة، وهي شهادة هذه الأمة على مَن قبلها مِنَ الأمم، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]"[3].

لُبَاب القول: أن الشهادة مِنَ النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، وشهادة هذه الأمة على غيرها من الأمم هو عنوان كمالها ورفعتها.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٧٨)، باب فضل بناء المساجد والحث عليها (٥٣٣).

(٢) فنون الأفنان (٤٨٤).

(٣) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (٢/ ١١٠).

ثانيًا: أوجه الاشتراك بين صفات الخاتم عليه السلام وأمة محمد ﷺ:

الحديث عن أوجه الاشتراك في وصف الشهادة على الأمم يتضمن عدة أمور، **يمكن إجمالها فيما يلي:**

١- أن شهادة النبي الخاتم على الأمم السابقة هو برهان صدق على رسالة النبي الأُمّيّ، الذي أخبرت به الكتب السابقة، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٥٧]. وَاخْتلفُوا فِي أَن النَّبِي صلى الله عليه وسلم هَل يشْهد على مَن لم يره؟ مِنْهُم مَن قَالَ: إِنَّمَا يشْهد على مَن رَآهُ، وَالصَّحِيح: أَنه يشْهد على الْكل؛ على مَن رأى، وعَلى مَن لم يرَ "(١).

٢- أن الشاهد يكون في غالب الأوضاع أحسن حالًا مِنَ المشهود له أو عليه، فأمة محمد صلى الله عليه وسلم هي آخر الأمم المصدقة بجميع الرسل والكتب السابقة، فاستحقت أن تكون في مقام الشاهد الرفيع. وهذا يدعو أفراد الأمة للزوم الحق والثبات عليه، وأن ما شرعه الله لأمة محمد هو الحق والخير والسعادة. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء:٩].

٣- أن شهادة النبي صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه تعادل شهادة الرجلين، كما حصل لأبي خزيمة بن ثابت، وكذلك شهادته لصدق ما يقع في نفوس صحابته من الإيمان، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه

(١) تفسير السمعاني (١/ ٤٢٩).

وسلم يقول: "**بينما راعٍ في غنمه عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاة فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب فقال: مَن لها يوم السبع، يوم ليس لها راعٍ غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته، فقالت: إني لم أُخلق لهذا، ولكني خُلقت للحرث. قال الناس: سبحان الله!! قال النبي صلى الله عليه وسلم: فإني أُومن بذلك، وأبو بكر، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما**»[1]. والشاهد في أحكام الشريعة هو باب مِن أبواب التوثيق والتثبت وإثبات الحقوق بين الناس.

****

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٥)، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذًا خليلًا» (٣٦٦٣).

الخاتمة وأهم النتائج

الأقلام والأفهام لا تزال تدور في فلك الكتابة حول الأنبياء في القرآن بأثواب متعددة،

ومن أهم النتائج البحثية ما يلي:

١- امتياز أمة محمد عليه السلام بهذه الصفات والخصائص التي شاركت فيها بعض أولى العزم من الرسل: إبراهيم، موسى عليهما السلام.

٢- أن الآياتِ المشتركةَ بين النبي وأمة محمد لا تتقيد بمنهج معين من جهة النزول، فقد تكون الآيتان مكيتين، أو إحداهما مكية والأخرى مدنية.

٣- أن ابن الجوزي يعتمد في مورد الاشتراك على اللفظة القرآنية التي تجمع بين صفة الأنبياء وصفة أمة محمد.

٤- أن هذه الأوصاف تأتي أحيانًا مشتركة في آية واحدة، كما في سورة «الفتح» التي جمعت أربعة أوصاف لنبيّنا المختار صلى الله عليه وسلم، وبعضها تأتي بصفة واحدة، وهو الغالب في الدراسة.

٥- أن بعض الأوصاف التي ذكرها ابن الجوزي خاصة بأمة محمد لا يظهر فيها الإختصاص، بل تكون الآية في سياق العموم، وتشمل الأمم السابقة.

٦- أن وجود هذا الاشتراك مما يُعزز باب الاقتداء والمتابعة للأنبياء عليهم السلام.

٧- أن هذه الصفاتِ المشتركةَ ليست جامعة مانعة، فقد يدخل غيرُها فيها مما لم يتعرض لها ابن الجوزي.

التوصيات:

١- التوسع في دراسة هذه الورقة العلمية بشكل أوسع.

٢- دراسة صفات الأنبياء، وبيان أثرها في الدعوة.

٣- كتابة قاموس ودليل لصفات الأنبياء في القرآن.

٤- صفات الأنبياء في القرآن والسنة المطهرة جمعا ودراسة.

المصادر والمراجع

١. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم الدارمي البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢. أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله، ابن العربي (ت ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرَّج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ.

٣. أسباب المغفرة، ابن رجب الحنبلي، إشراف: أشرف المقصود، مطبعة: مكتب التراث الإسلامي، ١٤٠٥هـ.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي (المُتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجوزية (المُتَوَفَّى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٦. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٧. بداية السول في تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم، تأليف: العز بن عبد السلام السلمي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

٨. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٩. بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٠.تاج العروس مِن جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المُتوفَّى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة مِنَ المحققين، الناشر: دار الهداية.
١١.التبيان في أيمان القرآن، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ.
١٢.التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد مِن تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المُتوفَّى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.
١٣.تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد، عبد الهادي بن محمد بن عبد الهادي بن بكري بن محمد بن مهدي العجيلي (المتوفى: ق ١٣هـ)، تحقيق: حسن بن علي العواجي، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
١٤.التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المُتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.
١٥.تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
١٦.التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (المتوفى ٤٦٨هـ)، حُقق: برسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
١٧.تفسير الحجرات – الحديد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
١٨.تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.
١٩.تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المُتوفَّى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٢٠.تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (المُتوفَّى: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٢١.التفسير الكبير = مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي، المُلقب بفخر الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٢٢.التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.
٢٣.تفسير آيات أُشكلت على كثير مِنَ العلماء، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن محمد الخليفة، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.
٢٤.تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
٢٥.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المُتَوَفّى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.
٢٦.جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير ابن جرير الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد، ابن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
٢٧.الجامع المسند الصحيح المختصر مِن أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٨.الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٢٩.جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام صلى الله عليه وسلم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، منظمة المؤتمر الإسلامي – مجمع الفقه الإسلامي – جدة – مطبوعات المجمع.

٣٠.حجة الله البالغة = إحياء العلوم، الإمام الكبير الشيخ أحمد – المعروف بـ: "شاه ولي الله" – ابن عبد الرحيم الدهلوي (المتوفى: ١١٧٦هـ)، راجعه وعلَّق عليه: الشيخ محمد شريف سكر، الناشر: دار إحياء العلوم – بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٣١.خصائص الأمة المحمدية، السيد محمد علوي المالكي الحسني.

٣٢.الخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٣.الدعوات الكبير، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الناشر: غراس للنشر والتوزيع – الكويت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩ م.

٣٤.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٥.روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٣٦.زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٣٧.زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٣٨.سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى:

٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٣٩. سفر السعادة وسفير الإفادة، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣ هـ)، تحقيق: د. محمد الدالي، الناشر: دار صادر، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٤٠. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

٤١. سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٤٢. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عصام فارس الحرستاني، خرّج أحاديثه: محمد إبراهيم الزغلي، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

٤٣. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، القاضي: حسين بن محمد المهدي، الناشر: سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة ٢٠٠٩م، راجعه: الأستاذ العلامة: عبد الحميد محمد المهدي.

٤٤. طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبد الله، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.

٤٥. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبد الله، تحقيق: زكريا علي يوسف، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦. العذب المنير في مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين الشنقيطي، إعداد: د. خالد السبت، دار ابن حزم، ١٤٤١هـ.

٤٧. عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد، أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح،

الدِّينَوَرِيُّ، المعروف بـ (ابن السُّنِّي) (المتوفى: ٣٦٤هـ)، تحقيق: كوثر البرني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن – جدة، بيروت.

٤٨.الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.

٤٩.فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المُتوفَّى: ١٣٠٧هـ)، عُني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا – بيروت، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٥٠.–فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب = حاشية الطيبي على الكشاف، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المُتَوَفَّى: ٧٤٣ هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ– ٢٠١٣م.

٥١.فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، دار النشر: دار البشائر – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧ م.

٥٢.قصص الرحمن في ظلال القرآن، أحمد فائز الحمصي، الطبعة: الأولى، دار الرسالة، ١٤٢٥هـ.

٥٣.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المُتوفَّى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٥٤.كمال الدين الإسلامي، عبد الله بن جار الله آل جار الله.

٥٥.اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت ٧٧٥)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٥٦.لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم. (دار صادر).

٥٧.مبهمات القرآن، محمد بن علي البلنسي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ.

٥٨.المجتبى من السنن السنن الصغرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٥٩.مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (المُتوفَّى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.

٦٠.محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المُتوفَّى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٦١.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المُتوفَّى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٦٢.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٦٣.مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٦٤.المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (المُتوفَّى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٦٥.مِفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب، ابن قيم الجوزية، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ.

٦٦.المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٦٧.منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، ابن تيمية

الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦٨.الْمُهَذَّبُ في عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ الْمُقَارَنِ، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦٩.المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.

٧٠.النبوات، أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية الحراني أبو العباس، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة، ١٣٨٦هـ.

٧١.نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المتخصصين بإشراف: د. صالح بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة.

٧٢.الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، محمد مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

****